

وماذا بعد الفراق؟

مجموعة قصصية

انتصار ربيع

ربيع، انتصار

وماذا بعد الفراق؟ . تأليف/ انتصار ربيع.

التصنيف : مجموعة قصصية

٢١ سم ، ١٥٨ ص

تدمك : ٨ - ٥٩ - ٦٦٤٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨

تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف

يوريكا لخدمات النشر



01288627690

eureka4publishing@gmail.com

بالتعاون مع

دار المثقفون العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ٢٠٠٠٤

جميع الحقوق محفوظة و يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من
الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابى صريح من
الناشر

إهداء

إلى كل قلب تحمل ألم الفراق، ومازال يخفي ذاك
الألم ببسمة مصطنعة وبدأ حياته، ولم يستسلم
للأس.. إلى القلوب التي لم تتحمل، وهوت
صرعى.. إلى كل قلب يحاول الاستمرار لكنه
داخلياً منهوي.. إلى كل قصة حب انتهت وتركت
قلوباً تنزف في صمت، وإلى كل روح فارقتنا،
ومازال تترقب حولنا.. إلى الصامدين رغم
كل فراق.

إليكم هذا العمل..

انتصار ربيع

مقدمة

ونرحل بهدوء وتظل ذكرانا بطيب الأثر
الذي تركه برميلنا ويفتقدنا من كنا يومًا
في قلوبهم وكلما مررت رياح الحنين لطيفنا
رفعوا أكفهم بالدعاء لنا واغمضوا العيون
كأن ترشف أرواحهم من ماضينا الجميل بينهم
مع ابتسامة هزينة عطشى للقاء بجمعنا،
وعلى الجانب الآخر من يتركون الدنيا ببغض
أصحابها من أفعالهم ومن خبث تعاملهم
لهم، فللما هلت ذكراهم ابتأسوا بملاح
وجهه يملؤها الغضب رافضين ذكرى تخوض
في ماضيهم توقظ بذكراهم الحنين لهم .
الدنيا ليست دار مستقر ولكنها ممر، فمن مر
فليحسن المرور متعطرًا بعبير الكريم الذي
كلما حل بمكان تركه عطره يفوح مكانه.

الفراق بكل أشكاله إحساس صعب والكلمة تحمل في مفردات اللغة معانٍ كثيرة، فهي تشير إلى البعد والانفصال والاتساع والبين وكلها تعطي إحساسًا يصعب على أحد تحمله، ففراق الموت يولد كبيرًا، وفراق الحب ناره تظل مستعلة سنوات وسنوات، ويجب علينا أن نكون مستعدين تمامًا للحظات الفراق، وندرب أنفسنا على النسيان لنستطيع العيش ونعلم جيدًا أن لحظات ألم الفراق لا تنسى ولا تقارن أبدًا بأي لحظات، فدائمًا أوقات السعادة مهما طالَت سرعان ما ينتهي الإحساس بها، أما لحظات ألم الفراق يظل باقيًا تشعله نيران الحنين حينما تهب عليه رياح الذكريات، فتلهب معه أشواقنا لزمن مضى أو أحباب عنا رحلوا..

وماذا بعد الفراق؟

مجموعة قصصية تصف لكم الفراق في صورة المتعددة، فأحيانًا يباغتنا وأحيانًا أخرى نختاره

وماذا بعد الفراق؟

بأيدينا وتارة يأتينا عنوة وغضبًا بلا إرادة لنا
أو اختيار.

قصص قصيرة تحاكي واقعنا ما بين فراق مسطور،
وجراح تئن ومع ذلك نسير وممضي بنا الركب
لحياة خلقنا فيها في مشقة وتعب.

انتصار ربيع

نبضات قلب

نظرت عاليًا لتلك السحب المتأقطة، تود لو أنها
تطير إليها كي تحتضنها وتدور بها.. تسابق البرق
وتخرس ذاك الرعد، وتنساب بهدوء غيًّا على
تلك القلوب المجموعة التألة. تجلس علي تلك
الأريكة بحديقة كبيرة واسعة، تتساقط أوراقها
في ذاك الخريف الذي أطلت سرعًا وتكسوها تلك
الوحدة القاتلة، وشمس أوشكت علي الغروب
وليل طويل يهلك عليها وتشاركه دقائق عقارب
ساعة لا تمل ولا تهدأ والجميع هنا يشبهونها
في هدوئها وصمتها، وأيضًا يقاربونها السن،
فاليوم أتمت الخامسة والستين ومازال قلبها
مليء بالندبات جرّاء تلك الطعنات التي تسبب
فيها كل من أحببتهم.. أعطت دون مقابل، وكان
عطاءها دومًا مستمرًا كأنه فريضة يحاسبونها إن
قصرت يومًا بأدائها، لا أحد يهتم.. الكل يرونها
آلة تدور لا تكل ولا تمل.

واليوم وفي هذه اللحظة تحديدًا اللك هرب
منها لحيات، أبنائها.. أحبابها حتي أصدقائها ..
إلا هو ظل معها يترقب من بعيد نظراتها، دقات
قلبها.. نبض عروقها.. كأنه ظلها يحاول أن
يعالج ما سببه عقارب الزمن بها من انحناء
وتجاعيد وشيب يراه الجميع هرمًا، ويراه هو
بعين قلبه جملال دائم لا يؤثر فيه الزمن،
ظل عمر مجوارها لا يتركها لحظة، يحاول جاهدًا
أن يعيد إليها تلك الذاكرة التي ودعتها، منذ
زمن ليس ببعيد لكنها هربت من هذا الزمن
وكانت الجراح محت كل الذكريات من حياتها في
هذا الدعو (ألزهايمر) فقدان القدرة على
التذكر لا تذكر.. سوى اسمها الذي كانت تفتقد
فيه صفاته فكانت (ذكرى).

ذكرى .. بعد كل عطائها الآن باتت مع ذاك
الحرمان القاتل، والحزن بادٍ عليها وكأنها مرآة
منكسرة، ودومًا شاردة.. صامتة، لكن بقلبها
صخب السنين من الألم الدائم المصاحب لها كلما
أغمضت عينها تفترسها رؤى الماضي بمنامها.

عمر..

هو حبها الصامت وابن عمها الذي أرادها
زوجة له، لكن القدر كانت له مشيئة أخرى،
وتزوجت حينما كانت مسافراً الاستكمال دراسته.
رجع عمر ليجدها وقد أصبحت حياتها لن يراها
شبه مستقرة، ومرت الأعوام ومات زوجها
وبقيت صامدة تكمل رسالتها مع أولادها، وهم
بارعون في الأناية لا يفكرون إلا في أنفسهم،
وبعد أن أكملت رسالتها معهم، أرادوا مكافأتها
مكافأة كبيرة ألا وهي النسيان والإهمال.

بعد أن تزوج أولادها وكانت حياتهم بعيدة
عنها بمسافات كبيرة ليست مكانية فقط،
وإنما كانت أحاسيسهم أيضاً بعيدة، فمع بُعد
الأماكن كانت كل لحظة يعلو بينهم سور
الفقد والاشتياق والغفلة والبعد، فأصبح
أولادها بعد السؤال تدريجياً كل شهر
أصبحت تمر شهور ولا يسألون عنها، والوحدة
قاتلة تطحن ببطء ذاك الحنين إليهم.

وقفت عمر ينظر إليها ويتذكر يوم كان يزورها هو وزوجته منذ خمس سنوات فوجدها مريضة وكيف صار قلبه ينزف حزناً علي وحدتها وترك أولادها لها وكيف أنها أشارت عليه أن ينتقلها من هذه الوحدة القاتلة إلى دار للمسنين وأنه رفض رفضاً باتاً لهذا الطلب، وعرض عليها أن يأخذها معه لبيته ولكنها رفضت بشدة بالغة.

ففكر عمر أن ينشئ داراً للمسنين تكون هي شريكته في إدارتها في منزلها الواسع والذي كان مناسباً لهذا الغرض، ويكون بذلك معها بصفة مستمرة ومطمئناً عليها لأنه مازال رغم البعد ينبض قلبه بحبها.

وافقت ذكرى لهذا الاقتراح وكانت الدار خطوة جيدة لها لكي تتناسى ما بها من إهمال أولادها وتمحو ذاك الحنين والاستياف الذي شق قلبها عليهم لتبدله لهؤلاء الذين يعانون مثلها الوحدة بعد أداء رسالتهم، وأصبحوا هملاً ثقيلاً على أولادهم.

ومرت السنوات وذكرى مطمئنة بوجود عمر
بجوارها يهتم ويحنو ويسأل فقد أصبح هو لديها
السند والأمان وهو الحب الباقي لها، وهذا
العمل الذي أحيا لها نبض الحياة من جديد
، وبيتها التي دبت فيه الحياة من جديد بوجود
أمثالها من السنين و النسيين من ذويهم
وأحبابهم.

وأصبحت ذكرى تداوى جروحها وجروحهم
سويًا متناسية أسباب أضرارهم بحياة جديدة
مليئة بالأمل، فقد برعت ذكرى برسم خطط
جميلة متنوعة بين القراءة والرحلات
والبرامج الرياضية وكانت اللك سعيد بحياته
الجديدة في تلك الدار، كانت ذكرى تقيم أمسية
ثقافية تجمعهم وتقرأ لهم، وعمر دومًا حريص
كل الحرص على حضور تلك الأمسيات الرائعة
التي يستشعر فيها كل الجمال فكانت ذكرى تقرأ
لهم من مؤلفاتها عليهم ما يسعدهم.

كان الجميع يستعرض مواهبه التي دفنت مع
اندهام حياتهم، و عمر معهم يشارك بتلك

القصاصد التي كتبها لها من عشرات السنين
والتي أسماها (إلى الحبيبة النائمة بحنايا قلبي)

كانت ذكرى تذكره أن تلك الكلمات رغم
عدم بومه إليها أنها تخاطب قلبها الذي لم يحبه
غيره وظل صامداً أبداً لا ينطق ولا يهمن
إلا بخيال لا يحاسبها عليه أحد ، ورغم أن
عمره قد تقدم للزواج منها بعد موت زوجها
إلا أنها رفضت بشدة للأجل استقرار بيته
وحياته وصورته أمام أولاده، وبعد محاولات
عديدة منه ورفض قاطع منها رضى عمر
لرغبة ذكرى، وظل ما في قلبه صامداً لا ينطق
إلا بهمسات قصائده.

واليوم حضر أولاد ذكرى بعد غياب دام سنوات
وسنوات بأولادهم وقد فوجئوا بتلك الدار في
بيتهم ، وما كان منهم إلا أنهم لم يتقبلوا هذا
الأمر غافلين عن إهمالهم لها، ناسين أنهم
كانت تمر الشهور دون السؤال عنها وكأن
قلوبهم القاسية لم تخلق من أحشائها وكأن هذه
الدماء التي تتدفق في عروقهم ليست نابعة من

مضى دماؤها أرادوا بمجيئهم أن يردوا قلب
أمرهم قتيلاً رغم دقاته التي تنبض حباً بعروقها
لهم. هددوها بأنهم سيقومون برفع قضية
محرم عليها ليأخذوا منها ذاك البيت وكأن
الغربة بعيداً في بلاد الغرب جعلتهم يتشربون
القسوة ونسوا تعاليم دينهم الذي يحث على
البر بالوالدين، وأصبح المال هو كل شغلهم
الشاغل دون أن يدركوا السن التي وصلت إليه
أمرهم والتي تحتاج فيه من الرعاية والاهتمام
ما يجعلهم يتركون كل شيء بأيديهم ويبيتون
تحت قدميها، وكان لحب الدنيا لديهم له نصيب
الأسد طغى على مكانة أمرهم بقلوبهم.

وقفت عمر بجوارها ضدهم وأفسك خطتهم ،
وعينما فشلوا بمخططهم سافروا تاركين طعنة
بفؤاد أمرهم لا تمحوها السنوات، صدعت بها
شرخاً لا يجبر ولا يطويه الزمن ولكنها ظلت
صامدة وعقلها يهدر تلك الأوامر لحاسة الذاكرة
والتفكر ليمحوا كل ذكراهم من حياتها فأصابها
مرض النسيان لم تعد تتذكر أحد لم تتذكر غير

عمر وشبابها، فكان كلما يأتي إليها عمر تنظر إليه ونظرات الحب والحنين والاحتياج تغمرها فيجلس معها لساعات يحادثها.

ظلت ذكرى على ذاك الحال إلى أن فاضت روح عمر إلى بارئها، ومرت الأيام وذكرى تجلس على ذات الكرسي تنتظر حضوره ولكنه لم يأت، واليوم حضر عمر في صورة ابنه يوسف الذي أوصاه بها قبل أن يموت، وبالاهتمام والحضور لها يوميًا، ولأنه كان شبيه أبيه لم تلاحظ ذكرى الفرق بين عمر وابن يوسف ولأن ذاكرتها غير قادرة على الاستيعاب لم تستوعب أنه يوسف وبما أنه كان يفعل ما كان يفعله أباه من مدونته في مذكراته والتي كان يقرأها لها كل يوم وهكذا كان حبًا ووفاء باقين رغم فراق الموت الذي أبعدا عنه ورغم قرب أبنائها من قلبها إلا أنهم أثبتوا أن قلوب المحبين موصولة حتى بعد الموت، وبعد كل لقاء بينها وبين يوسف تنحدر دموعه تسأل أين ذهب عمر؟ ومحوها الابن البار بأبيه بقبلة حانية

وماذا بعد الفراق؟

على خدّها مودعاً ليأتي إليها غداً في موعده.

راحل دون وداع !!

رياح تعصف بنا.. تتأرجع معها أمزاتنا.. تحرّك
فينافزنا تلك الذكريات وهذا الأنين المستوطن
دواخلنا، ويئن ذلك الحين يتوسل الزمن ألا
يعود به للوراء لذاك الراحل منه دون وداع.

وقفت حانم أمام المرأة يتطلع لهيئته شاردًا
بخياله، والأنين يدب في أوصاله في ومضة
من الزمن طافت به، حينما سمع صوت صغير
الريح الذي ذكره بصوت أبيه العالي مطالبًا
إياه بمغادرة البيت في تلك اللحظة دون شفقة
أو رحمة، وكانت حنان الأبوة انتزع من حنايا
قلبه وهذا كله للأجل أن ينال رضا زوجته
الجديدة ويحاول حانم أن يوضح الأمر للأبيه،
ولكن دون جدوى وكأنها زليخة التي أهلكمت
إغلاق الأبواب وقالت هيت لك ثم إذا به تطالب
بسجن يوسف حين انكشف أمرها، فهي الأخرى
أهلكمت قبضتها على قلب ذاك العجوز بدلًا لها

كأي لا يرى إلا بعينها ولا يسمع إلا بأذنيها، وقفت
الولد حائراً إلى أين يذهب في هذه الساعة؟
ودموع عينيه تنساب منه ويحاول جاهداً أن
يرى نفسه من ذاك الاتهام الذي مكثرت
به تلك الماكرة زوجة أبيه ولأنه لم يتجاوب
معه لغايتها الدنيئة، فأسرعت تعد غطتها
بدهاء، وبدموع التماسيح فجمت بك برعت
في إحكامها وتخلصت منه وقفت تنظر إليه وهو
خارج لا حول له ولا قوة متهدية له بنظراتها
تهز رأسها وتبتسم بعينها ابتسامة الثعلب الماكر
لنجام غطتها مع أبيه وانتصارها عليه جزاء
رفضه حبها وشهوتها الحيوانية الجامحة .

خروج يتخبط مع الرياح كأنه ورقة شجر خاوية
سقطت في ليل خريف موحش حيث لا قمر
يضيء ولا نجوم تسطع ليل مظلم تكثر في سمائه
السحب المتناقلة وصوت أهات التألين تسارع
صوت الرعد وشرارة البرق تتهاوى به هنا
وهناك ، وأنين اليتيم يمزق أمهائه لدنيا خلت
من الحنان بعد موت أمه ماذا يفعل وإلى أين

يذهب؟ ثم وجد نفسه يقف أمام قبر أمه يبكي..
ينتحب.. وتتعالى معه الرياح ويشد معه زئير
الليل لقلوب بشر أصبحت بلون ظلمته.

وقر عليه سيارة سوداء يشيع صاحبها بضوئها
عليه ليميز هيئته ثم يقف وينزل من سيارته
ويسأله:

- لماذا أنت هنا يا بني؟

وتلغثم الإجابة في فم الشاب لا يعرف ماذا
ينطق وبماذا يجيب؟، فيفيض الغيى بركات من
السما والكانها إشارات من الله بمد يد العون
لهذا الشاب فبرب الرجل علي كفف الشاب
الذي لم يتجاوز السابعة عشر من عمره ويطلب
منه الركوب معه في سيارته ليقوم بتوصيله
لوجهته، ولكن ماهي وجهته إلى أين يذهب؟
لا يعلم!

انطلق الرجل الدم خلقا التحلي بالصفات
العالية في زمن تهاوت فيه كل القيم والإنسانية
في عالم ذك الشاب، وحينما وصل لبيته وبعد أن

سرد الشاب قصته للرجل وهو ينتحب ويبكي
بكاءً مريراً بنكهة اليتيم، بكاءً لاصوت له ولكنها
دموع تنهمر شلالات علي وجنتيه، تأثر الحاج
صالح بما قاله حازم ، و طلب منه المكوث معه
ليعينه في بعض مهام أعماله.

وكان الحاج صالح رجل أعمال يعيش بمفرده
بعد موت زوجته وهي تلد له ابنته ليلي
التي حرمته حنان أمها فصار هو الأب والأم لها
، وكانت في مثل سن حازم لكنها تصغره بخمسة
أعوام ، ونظرًا للأعمال الحاج صالح الكثيرة
والتي كانت عائق في متابعة ابنته ولأنه لم يجد
أحد يتق في لرعايتها ألحقها بمدارس أوروبية
بها من الاهتمام والرعاية ما يجعله مطمئن
عليها نظرًا لسفرياته المتكررة بهذه البلاد
فلكان يملك فترات بمصر وميداً، ورغم الغنى
الفاحش لم يكن الحاج صالح مغترًا يوماً بماله، بل
كان يساعد الكثير من الفقراء في الخفاء دون
أن يعلم بعمله أحد ، رفض أن يتزوج وعاش
مكرساً حياته لابنته وعمله.. بنى نفسه بنفسه

تذكر حينما شاهد حازم علي قبر أمه مصيره
الذي كان شبيهاً بمصير حازم فقد أذاقته زووجة
أبيه من كؤوس الذك والهوان وكانت سبباً في
طرده أبوه له من البيت لولا أنه كان له خال
يسكن بالإسكندرية ذهب إليه وعاش بكنفه
مدة بسيطة جاهد واجتهد وظل يجتهد وينحت
الصخر إلى أن كوّن نفسه بنفسه، ومات خاله
ثم ترك الإسكندرية واستقر بالقاهرة لياشر
أعماله ويصير رجلاً من أهم رجال الأعمال،
تزوج في سن الأربعين ولم يرزق بالذرية
إلا بعد عشر سنوات من زواجه وحينما رزق
بابنته فقد زوجته هكذا هي الدنيا تعطي
وقبل أن تعطي يجب أن تأخذ وما علينا إلا أن
نستسلم للفقد وألم ونظل صامدين مستسلمين
له، فظل الحاج صالح يعمل ويكد ويجتهد
ليصبح من أكبر رجال الأعمال، كان يساعد
من يجدهم خاصة في مثل ظروفه، ومن يراه
محتاجاً للمساعدة دون انتظار منهم للمساعدة
مفاظاً على كبريائهم وكرامتهم وكلما قام بهذه
الأعمال الخيرية تذكر ماضيه المؤلم.

وبعد أن أسدك الليل ستائرهُ أشرقت شمس صباح يوم جديد، تحدث الحاج صالح مع حازم وعلم بقصته كاملة، ورأف قلبه لحاله وحينما علم أن حازم تفوق في الثانوية العامة ولم يلتحق بأي جامعة حزن كثيراً وطلب منه أن يبقى معه وهو سيتكفل بكل مصاريف تعليمه في مقابل عمله معه بفترة الصيف وأثناء عطلته، دبر له مكاناً ليقوم فيه بفيلته نظراً لأنه وحميد معظم الأوقات.. هكذا أراد الحاج صالح أن يوهب لحازم أن مساعدته له ليست صدقة ولا منة منه بل مقابل عمل يقوم به له.

ابتسج حازم لموقف الحاج صالح معه وحدث نفسه بأنه سيظل جميله طوق في رقبته إلى أن يتمكن الله من رد هذا الجميل، طلب الحاج صالح من حازم أن يلتحق بكلية الطب فقد كان حاصلاً على الثانوية العامة بمجموع كبير إلا أن زوجة أبيه أصرت على أبيه ليبقى لزراعة الأرض وهكذا تكونت ضمنت حضوره بجوارها

ولكن غطتها بائت بالفصل.

وهنا تهلك وجه حازم فرمًا فقد كانت أميته
أن يلتحق بكلية الطب ومررت الأعوام وتفق
حازم، ومصل على الدكتوراه وكانت ابنة الحاج
صالح مقيمة بفرنسا وكانت يتابع معها ويسافر
إليها متابعًا لكل أمورها وأصابه مرض مزمن
يحتاج للإجراء عملية جراحية خطيرة لكنه أخفى
خبر مرضه عن ابنته وعن جميع من يعرفه
وذلك يعمل ويجتهد ليجمع لابنته ثروة طائلة
تساعدتها وتعينها إذا فاز عليه المرض وانقرسه
وأودى بحياته ، وكانت قد صرع الحاج صالح
حازم عن مرضه لأنه أصبح بمثابة ابنه.. حزنت
جدا حازم لمرض الحاج صالح وأصر أن يتخصص
في مرضه كي يرد له الجميل ويكون سببًا في
شفائه.

أصبح ولدًا حقيقيًا له بعد أن طرده والده ، و
الذي علم بعد ذلك أنه ضبط زوجته مع جاره لها
فتراوى عليها فقتلها فحكم عليه بالإعدام.

واليوم وتحديدًا هذه اللحظة التي رد فيها
الجميل للحاج صلاح بإجرائه عملية ناجحة
له باستئصال ذاك المرض اللعين وكأن الله
رد يوسف لأبيه وقر عين يعقوب بيوسف،
وهذه الرياح العاتية اليوم، وكأنها تذكره
بتلك الليلة التي طرد من بيت أبيه بفعل لم
يرتكبه.. ذكرته أصوات تلك الرياح بزئير
مزنه الجامع بخنايا قلبه، وذكره أيضا سواد هذا
الليل أنه لا بد أن يأتي الفجر الجديد مملاً
بالبشر والإشراق، التفت إليه وهو ملقّ على
سريره الأبيض وتحوطه تلك الأجهزة الطبية
وتلك الذكريات التي اجتاحت مخيلته الليلة.
نطق همساً وحازم من أمام مرآة حجرة العناية
المركزة بعد مرور يومين وهو بجانبه لم يخرج من
تلك الغرفة إلا لتابعة سريعة للمرضي بعد أن
كلف زملائه بالمرور عليهم إلا أنه دوماً كان
حريصاً على المرور عليهم وباستمرار يعود
لغرفة الحاج صلاح يتابع لحظة بلحظة حالته ولا
يعتمد على أحد، ينام بجواره ويحتسي قهوته
بجانبه، وها هو الحاج صلاح ينطق مستجيباً بعد

مرور أكثر من ثلاثة أيام بغرفة العناية المركزة
ناطقًا:

- حازم

ويسرع إليه ابنه حازم يقبل يديه ودموع
الفرح والسعادة تسبقه.. حازم مسرعًا:

- ليك يا أبي الحمد لله على سلامتكم.

الحاج صالح:

- أين أنا؟

حازم:

- أنت هنا بالمستشفى أجرينا العملية والحمد لله
نجحت وما هي إلا أيام وتكون في أحسن حال
إن شاء الله.

وتوالت الأيام وتم شفاء الحاج صالح بيد ذاك
الشاب الذي بدا له من ظلمة تلك الليلة
الموحشة.

واليوم ترجع إلى أبيها ليلى وهي تحمل أعلى

الشهادات التخصصية في الأجهزة الطبية
وعندما رآها حازم خطفت قلبه بجمالها وظل
الحاج صالح يراقب تلك النظرات من حازم
لابنته، وتمر الأيام وهو سعيد لذاك الإعجاب،
وعرض الأمر على ابنته فبدأ الإعجاب ظاهراً
منذ اللحظة الأولى لتكتمل سعادته بزواجهما
وهكذا ذهب الرياح العاتية لتأتي بنسائم
الربيع علي حياة حازم وكأن فراقاً أتى بالخير
على عكس ما نتوقع فليس كل فراق نهاية.

أواه يا قلب

نظر إليها وهي ملقاة على مئذنها، وكأنها
ملاك نائم، يود أن يغيب عن هذا العالم
ويقتنص لحظات الماضي بينهما، ودموعه تتحجر
في عينيه، وغربة بدأت تقتلع فؤاده، وحمده
معها يرهمن في أذنيها لعل قلبها يستجيب ويرق
له، ويستعيد نبضاته من جديد، يتلمس يدها
لعل دفء يسرى فيها، هدوء موحش يمهّد لفقد
جميع الأحباب لفقدتها، اقترب منها ودنا ومال
على ثغرها يتحسس رقيقها، يتأمل بسمّة كانت
تداعبه، وقبلة منها كانت تسقيه كؤوس الحنان
في آن واحد، ولمسة من كفيها الحانين، حينما
كانت تنساب إلى شعر رأسه، وهو نائم علي
صدرها يغفو أماناً من عالم كله خوف وريبة،
احتضنها وودّ لو أن العالم ينتهي من حوله في
تلك اللحظة، وتمني أن يجد ذاك الدفء الذي
تعود عليه منها، تحسبها.. شعر بقشعريرة لم

يشعر بها من قبل في أمضانها.. ضمها إلى صدره
لعلها تفيق وتناجيه، بدأ ينتحب ويبكي رافضاً
لهذا الواقع الأليم .

نطق بصمت قلبه الحزين إلى أين تذهبين
وتركيني؟.. أتذكرين أملامي التي كنت
أرسمها معك؟، وزوجة المستقبل التي كنت
تنوين أن توصيها علي وبيتي الذي كنت دوماً
تتحدثين بأنك ستفعلين وتفعلين حينما يكون
لي أولاد؟ إلى أين تذهبين وتركيني؟ وذاك
الوعد الذي قطعته علي نفسك لي؟.. أماه لا
ترملي عني.. ردد تلك الكلمات بصوت منتحب
وبآهات سنوات قادمة ممتلئة بالأنين والحسرة،
ردد.. أماه لا ترملي فغيابك عني سيقتلني..
أماه أفيقي.. مع اربعي الموت لا تركني هنا وحدي
فإن غربتي قاتلة من غير حضورك، وأغمض
عينيه وهام إلى تلك الأيام، ومشهد لن ينساه
حينما غابت عنه لأول مرة بحياته وهو طفل في
العاشرة من عمره وها هو ينتظر وصولها.. نراغ
بصره إلى صالة الوصول يلتفت إلى الحاضرين،

لعلها تهلك عليه، وقلبه تتسارع دقاته شوقاً
وحيناً لها، وها هي قادمة.. يسرع من مكانه
ينتفضع إليها يسابق نظرات عيونهم ويحتضنها،
وتفتح ذراعيها متلهفة إليه في شوق جارف
، وها هو الأمان رجع إلى حياته ، ولسان حاله
ينطق : وها هو موطني قد عدت إليه بعد أن
كنت في غيابها أسير، وها هي البسمة عادت
لثغري وها هي أمي عادت إلي وعادت معها
سعادتي ، ومن حينها وهو يخاف أن تسافر إلى
أي مكان بدونه بعد أن وعدته بعدم تركه
مرة أخرى وحيداً.. ويتابع وهو ينظر إليها
ويحدث نفسه قائلاً:

- ومواقفت لي معك يا أمي لن ينساها
قلبي.. كنت حناناً ينبض بكل سراييني

لن أنسى يوم أن دخلت علي وأنا أختلي
بنفسي وأدخن تلك السجارة وأنا في الخامسة
عشر من عمري لم تتذمري علي بك تركتني
وحدي وبعدها بمدة حاولت إقناعي ونجحت أن
تجعليني أحميد عن ذلك التصرف وغيره.. كنت

الأب والأم والأخ والأخت والحبيبة الأربية
القريبة.. لن أنسى لك حينما تجمعوا بعد أن
مات أبي يطالبونك بأن تتزوجي، ومنها كنت
صغيراً لا أعرف ما يدور حولي ولكنني شاهدتك
وأنت ترفضين كل محاولاتهم وترددين ليت
عندي حياة أخرى.. ولكنني حياتي أصبحت رهن
حياة ابني لن أجعل له زوج أم ينهر أو يقسو
عليه سأظل له الأم والأب سأعيش له وحده.

واليوم وفي هذه اللحظة تحديداً لماذا تنقضين
عهدي؟.. لماذا تستلمين لذاك الموت؟.. وهذا
القلب الذي أحترقته الآن أين ذهبت دقائقه؟

ويبكى ويصرخ ويتعالى صوته.. أماه عودي
لا تتركي، إن الحياة موحشة من غير حضورك
فيها، ويتجمع حوله الجميع يواسونه ولكنها لا
تستجيب.

يصرخ عالياً:

- من لي بعدك؟ فإن الحياة أنت.. فلا حياة
لي بعدك.

ويسقط منها وياً على الأرض، ويستجيب القدر
لندائه فيتوقف قلبه الذي لم يستطع تحمل فراقها
لم يستجب عقله بأن الحياة يمكن أن تسير من
غيرها ويقف نبض قلبه الذي أثبت أنه ينبض
من قلبها ويحن الموت إليه يختطفه ليظل باقٍ
علي عهده لها، ويرقد بجوارها وروحه تعانق
روحها وبسمة من عينيه، لامتداد روحه معها
فقد أصبح بجوارها يتفقان بالرحيل سوياً قلباً
بقلب ويداً بيد .

فراق مسطور

وبين لقاء عابر وبينفراق مسطور، ومسافر
حينما يصل يدرك أنها كانت محطة النهاية،
وأن وصوله لم يكتمل بعد بالوصول، بل
أصبح مع تلك الذكريات التي كانت حينما كان
مسافراً تأخذنا الدنيا، وتميل بنا مع أوجاعنا،
تسعدنا مرة، وتؤلنا مراراً، وتسير بنا، ولا تقف،
وكأنها آلة تدور بنا.. نتشابه في الألم ونتساوى
مع الحنين ونترهاذي لبعض مزيج من الآهات،
قد تكون أحياناً الجراح واحدة والأشخاص
متعددون، وتجمعنا الأقدار مع أناس ندرّك
معهم قيمة اللحظات الجميلة ولكنها سرعان ما
تنتهي وكانت القدر علي موعدٍ معنا ليعيدنا لما
يسمى بالفراق المحتوم.

قابله بعد سنين فقد كان زميلاً لها بالدراسة،
وقد جمعهما بالمأضي حُباً أخرس دام بصمت، ولم
يصرح كلاً منهما عن مكتون ما بداخله.

للآخر، وأخذتهما الدنيا وباعدت بينهما، ولم يدركا حقيقة حبهما إلا في تلك اللحظة التي جمع بينهما القدر وتقابلا في هذا المؤتمر وتلاقت العيون وكأنها سهام حركت نيران الشوق الكامنة بينهما واقترب علاء يلقي بالتحية على زميلته وحبه الصامت النائم بين حنايا قلبه فقد كانت غالية باسمها وهي كذلك بقلبه غالية قائلاً:

- غالية.. ما أخبرك؟

وكان ذلك الاستفهام الذي طلبه توصل منه إليها كي تطمئنه بمكانته في قلبها هل مازال بمدونة ذكرياتها أم فُحِي مع عقارب الساعات وتعاقب الخريف تلو الآخر على ذاك الحب الذي كان وليدًا حينها حينما روي فراقًا وحرمانًا.

غالية تبسم مع نظرة حانية كلها شوق لتلك اللحظات الراحلة وترد:

- علاء؟!.. كيف حالك؟

ومدت يدها لتسلم عليه وكأنها تستجديه أن يأخذها لعالمه وينتشلها من ذلك الواقع الأليم.. علاء مد يده يهافحها وأغمض عينيه وهام في تلك اللحظة يعود للوراء.. لآخر لحظة كانت بينهما.. وها هي صفحات نتيجتهما بالجامعة معلقة وهو يهتف قائلاً:

- امتياز يا غالية.

وهي ترد عليه:

- وأنت ما ترتيبك؟

فيرد:

- امتياز أيضاً!

فيقف هائراً مع ذاك الصامت الملازم لحاضرهما، ويريد أن يفصح بملكون فؤاده وحبه لها، وتسود فترة صمت لا تتعدى الدقائق ولكنها كانت فارقة بينهما يتسابق زميلهما علي ليطلب من غالية أن يتكلم معها بموضوع هام ويريد عنوانها.

وفى هذا اللحظة ينطق صمت اللحظتين بين
ماضٍ راحلٍ وحاضرٍ مؤلمٍ فيفوق علاءٍ على
صوت هاتفٍ غاليةٍ، وإذا به علي يحاكى زوجته
غالية :

- هل وصلت؟

غالية تجيب وهموم الدنيا كلها تشاقلت على
تعاير وجهها لمن يراها :

- نعم وصلت.. أنا الآن بالمؤتمر.

علي وكأنه يفرض عليها مهارةً بأسوار عالية
كَي لا تستطيع الفرار منه يرد بصيغة الأمر:

- حينما تنتهين اتصلي بي فوراً.

وكانت زوج غالية يغار عليها غيرة بشعة
مؤلت حياتهما لسوء، ولولا وجود الأبناء لكانت
استحالت بينهما الحياة للأبد.

وعلي الجانب الآخر يقف علاء حينما أدرك أن
القدر جعل علي زوجاً لغالية، يسارع قبله
بخطوة فيفوز بقلبها لسهولة إمكانياته فهو لن

ينتظر إلى حين أن يكون نفسه ومستقبله،
ويقف هو متمنياً لها حياة أفضل تاركاً قلبه
صامتاً بحبه يتتبع أخبارها من بعيد، وكلما سمع
أنها بخير. بحياتها الزوجية أيقن أنه أصبح ذكرى
من الماضي، فواصل حياته التقليدية بزواج
وبناء أسرة يحرص كك الحرس على سعادة
أفرادها، والآت شاء القدر أن يجعل لهما لقاءً
عابراً يأخذهما لتلك اللحظة التي دونت بفراق
مسطور، وينتبه علاء أن غالية أنهت مكانتها
وتتظر محادثته لتطمئن عليه وعلى أخباره
لكن الحاضرين تعاونوا مع القدر ضدهما بالأل
يفوزا بهذه اللحظة فتقابل الأعين وتتعانق
وبها كل الأحاديث.

ويبدأ المؤتمر وينشغلان بعملهما، فيتلهفن علاء
ليواصل الحديث مرة أخرى معها ويسرع كي
يحظى بدقائق بعد انتهاء المؤتمر عليها تسبع شوقه
وحنينه إليها، فيشاهدها من بعيد وهي ترتكب
مع زوجها، فيعلم علاء أن الفراق مازال بارعاً
معهما وأن لحظتهما لازالت تعيش حالة الصمت،

بين لقاء عابر وفراق مسطور ونيران خامدة
تشتعل حنينًا وشوقًا.

على أطلال الحنين

قامت من نومها على أثر حلم راودها وأعادها
إلى صباها، وهي بالعشرين أخذت تحملق
بسقف الحائط، كأنه شاشة عرض سينمائية
تستعرض أحداث مرت بها في حياتها.. انتفضت
من مخدعها، وهي تنجذب نحو هذا الإحساس
الجميل ونظرت بالمرآة، وإذا بتجاعيد قد بدت
على وجهها.. تنهدت، وأغمضت عينيها وكأنها
تسترجع ذاك الماضي الأليم الذي فرق بينها وبين
آمالها، وتساءلت ما الذي استدعاك بمخيلتي بعد
مرور كل هذه السنين أو مات برأسها تتذكر
بفكرها شاردة وكأنها تريد أن تذهب بها إلى
تلك اللحظة

وها هي في ذاك المكان الذي اعتادت على
مقابلته فيه بعد انتهاء عمله وعملها، انتظرت
قدمه طويلاً وهي تتلفت عساه أن يهلك عليها
لتحيا وتستمد منه القوة التي تساعد على

الهمود، جلست تترقب والوقت كأنه ليل شتاء
خال من الدفء يمر ثقيلًا كئيبًا تسمع دقات قلبها
كأنها عقارب ساعة تدق واللكل نيام تتساوى
بعينها ترى ما الذي شغله عني؟

أيقنت بعد فوات موعدها بساعات بأن اللقاء
بات معدومًا، وأنه عليها الآن أن تعود إلى
بيتها قامت متباطئة، وتود لو تراه من بعيد
قادمًا إليها، فيهلك عليها وكأنه هلاك عيد، لكن
الأمنيات تبخرت حينما تلاشت الشمس بالمغيب.

يهارع خالد أنفاسه، ويود النهوض لكنه
لم يستطع فما زال يحاول أن يهرب بنفسه
من واقعه بعد ليلة قضاها يبحث فيها عن
حل كيف يهاجرها بأنه للأبد لهما أن يفترقا
نظير ذاك الوعد الذي تعهد به لوالدها.
كان يغمض عينيه ولكن كل جوارحه متيقظة
مستة ما بين حب على حافة هاوية الفقد
وأمل بات معدومًا، ظل يتقلب محتضنًا وسادته،

فهني الآن رفيقة دموع عينيه وتراوده مشاهد
حبه الضائع، وقلة ميلته وفقره الذي أضاع
منه حب عمره، ويتأمل حبيبته بمفردها تنتظر
قدمه، وتلفت هنا وهناك فهو يعلم لهفتها
ومقدار حبا له، وهنا قطع صوت الهاتف صمت
ذاك الحزن المخيم عليه.. انتفض من مكانه
فاذا بها تستجديه رنات الهاتف، وكأنها نبضات
ودقات قلبها الملهوف للقائه.. تردد كثيرا في
الرد إلى أن صمت الهاتف وصمت اللكون مرة
أخرى من حوله، نظر خالد إلى الهاتف، وهو
يرجوها أن تتصل مرة أخرى، فهو يريد سماع
صوتها، وكأنها أكسير الحياة لقلبه، تعيد الاتصال
به مرة أخرى.. أسرع خالد ملهوفًا ليرد عليها
ويسمع صوتها ويطمئن عليها..

خالد: مرحبًا.

وفاء: أين أنت؟!.. لماذا لم تأت في موعدنا ؟
وتظاهر خالد بالنسيان قائلًا: موعد؟!.. أي
موعد؟!.. أكان اليوم بيننا لقاء؟

وفاء : هل يعقل أن تنساني وتنسى مواعيدي؟

تسابق دموعها كلامها، وردده عليها متجاهلاً
مواعدها وينتحب صوتها عصي البوع بما شعرت
به، ويعتذر خالده لها بأنه مشغول الآن وبينما
تأتي فرصة سيتواصل معها، وأغلقت الهاتف
وألقت بنفسها على مخدعها تبكي بكاء مكتوماً
يسمعه كل العاشقين المجرمين الذين احترقوا
بنار الفراق وتذوقوا ألم البين بقلوبهم.

وعلى الجانب الآخر حيث خالده الذي استوى
أرضاً متكئاً على ركبتيه يصرخ بالبكاء وهو
الآخر يردد:

- لأجلك سأرحل مجبراً تاركاً قلبي بين
يديك.. لا حيلة لي.. استنفذت كل الحيل وها
هو أباك الذي قد أبرم معي اليوم عهداً بقتلي
وبُعدي عنك كي تسعدين مع صاحب المال والجاه
وأنا الفقير المعدم ليس لي حق في قلبك، ووجب
عليه أن يرحل يا حبيبتي.

ويرحل خالده تاركاً مهر كلها دون وداع إلا أنه

أتبي يوم سفره وانتظر عودتها من عملها مقتباً
كبي لا تراه ليملأ عينيه برؤيتها في وداع أخير..
وداع صامت صاخب بهرقات الفراق ولكنها رأتها
فأسرعت إليه تعاتبه، وها هو آخر لقاء بينهما.

وفاء: أين كنت؟

تظاهر خالد تجاها بالفتور وجيب متذرعاً بحجج
واهية:

- كنت مشغولاً باستخراج أوراق سفرى.

فوجئت وفاء بإجابته ورددت:

- سفرى؟! أي سفرى؟

خالد:

- مسافر لأجنبي المال.

وفاء: المال؟

خالد: نعم يا وفاء المال، الحياة هنا أصبحت
لا تصلح لي يجب علي أن أتركها وأرحل.
وفاء:

- وأنا كيف لك أن تنهني كل ما بيننا هكذا؟ ألا تدركه إنني لا أستطيع العيش في مكان لا تكون فيه.
خالد :

- أعلم وأنا أيضًا لا يمكنني الحياة بدونك لكن يجب علي كل منا أن يكون له طريق مختلف.. طريقنا أصبح مسدودًا يا وفاء.

بكت وفاء وذهبت ولم تستطع أن تلقي عليه نظرة وداع، نظر إليها وإذا بدمعة تنحدر من عينيه أخرست كل الأحاديث ومضت ، ومضت معها السنوات.

رحل خالد دون أن يلتفت وراءه خوفًا من أن يضعف، ولم يستطع مقاومة دمعها ، وقلبه يُقتلع من مكانه.. يصرخ.. يتهاوى.. يحتضر مع حبه ومحبيته التي أخفى عنها مقابلته لوالدها، الذي أكد له أن ارتباطه بابنته مستحيل استحالة طلوع الشمس من مغربها.

ركب خالد سيارة متوجهاً إلى مطار القاهرة مودعاً مهر كلها وينظر إليها، وهي على

أطلال عبيهما تقف هزينة شريفة لا تعلم
ما الجرم الذي أهدته لتركها ويرحل.
ردد خالد:

- أيتها الروح التي تسكن أعماقي.. أيتها
الحبيبة التي حلت بقلبي واستعمرت.. اسكني
طيفك على قلبي المشتاق قطرات علها تطفئ
لظى الفؤاد الجريح وتخمّد نيرانه، فطيفك
للمريض العليل شفاء .

ردد خالد تلك الكلمات ودعه ينزف لوعة
لوداعها وبُعد عنها وجرمه الذي لا يجد له
علاجاً.. رحل وهو يكتوى بنار الفراق وحب لم
يكتمل وحكم عليه بالبُعد والشقاء.. أخذ يحدث
نفسه قائلاً:

- جبراً لا اختياراً سأرحل، أخبئ الماضي
بين حنايا قلبي، وأقلب صفحاته بدمع عيني، ربما
أحن يوماً، ربما أغفو معه مرات، ولكن تأكد لي
اليوم أنني سأمضي وحدي، فالطريق بدا
فيه مفترق، وليس لي فيه اختيار .

سافر خالد وحمل قلبه الجريح مع حقيقته
واسودت الدنيا بعينيه.

هكذا نظرت وفاء لطيفه الساكن روحها، الذي
مازال عالق رسمه بعينيه، وكأنه لوحة جميلة
تزين حياتها لتغلق عليه جفونها، وتبدأ حياة
جديدة، خالية من الحياة بعد أن هدها والدها
أنها إن لم تتزوج هذا «العريس» لن تسمى بعد
اليوم ابنته.. وضعها في حيرة وأخبر من كل مكنون
لديها ينطق، جعلها كالدمية يحركها كيفما يشاء،
وعلمت من صديقتها أن خالد سافر بلا رجعة.
سافر حتى دون أن يخبرها أن فراقهما كان
متفقاً عليه من قبل أبيها، شاخ قلبها الوليد،
بل أصبح يتيمًا في مساعره، وكأنه لقيط ماذا
تفعل؟ سافر واستطاع هو، ولكن هي ..
ماذا تفعل؟.. وإلى أين تذهب بقلبها الجريح؟
وأفاقت على صوت حسن يطلب منها بصوته
العالي الإفطار وكأنها كانت في غيبوبة وأفاقت،
وكانت تلك السنوات التي مرت لم تكن هي..

وكانها شخص آخر لا قلب ولا روح ولا حياة.

أفاقت علي واقع مرير.. نزوح ضريح الشاعر..
فاند للأهلية المودة.. كل مؤهلاته المال
والغرور والتكبر.. إنسان مستهتر؛ لا يراعي
بحياته ديناً ولا عاداتٍ ولا تقاليد، يرجع كل ليلة
مع بزوغ الفجر منتش مخموراً؛ لا يدري كيف قاد
سيارته وكيف عاد إلى البيت، وكل يوم على
هذه الحال؛ وهي صابرة لأجل ثلاث أولاد هم
نبضة جعلت لحياتها معنى ربما تلك النبضة هي
نبضة الصمود.

أسرع خالد إليها نادى بها أمي حينها تبسمت وردت:
- نعم يا خالد .. ماذا تريد يا حبيب أمك؟
فقال خالد:

- أريدك ان تجلسي بجواري يا
أمي أريد أن أملكك لك شيئاً هاماً.
أجابته وفاء قائلة :

- سأعد لوالدك الإفطار وأعود إليك لنكمل
حديثنا.

وتردد وفاء بينها وبين صمتها الذي تعلن فيه عن مكثوت ما تعانيه .. خالده .. كلما تعالى اسمك في عالمي، عاد إلى قلبي وميض أمل إلى تلك الحياة التي أعيشها، كلما هتفت باسمك رد النبض في قلبي للأستمد منه القوة التي تعينني علي الصمود والاستمرار.

وعلى الجانب الآخر انغمس خالده بحياته الجديدة بجمع الأموال .. يسابق الزمن لعله يستطيع أن يرجع قبل أن تتزوج وفاء وينفذ والدها حكم الإعدام لجهما . وفي يوم هاتفه خالده زميله بمكالمة تليفونية، وأدرك حينها أنه قد تم زفاف وفاء.

ألقى خالده الهاتف من يده وجلس ودموع الحسرة تنهمر من عينيه، ووحش الغربة والحنين وبعد المسافات يمزقه تمزيقاً وأخذ يردد:

- وماذا بعد هذا الفراق؟ لن أكمل حياتي؟
وقد خسرت كل شيء؟ لن أجتهد ولن المال؟،

المالك الذي كنت سأشتري به مبي والذي ضاع
الآن مني.

وأقبل عليه الليل الموحش وأسدك ستائره..
وخيم السكون وتصارعت أحزان خاله بين أنين
وخيبة أمل ونهاية لكل ما كان جميل..
مرت السنوات على خاله ثقيلة انغمس في عمله
كبي يتناسى مبه الذي يكتوي بناره كل ليلة
باكياً على وسادته يستدعي طيفها ويقول:

- وكلما لالع بالأفق كروان يغرد، يترأى
لي طيفك في سماء حبيبي إليك، وتلتهب براكين
وجدي.. تطوف بأجواء دنياي باحثة عنك..
عن همسة هنا، ولقاء في ذاكرتي يناجيك مناجاة
المشتاق إليك، وينادي بي عبر عطره الذي
ما زال عالماً بأنفاسي وتغمض العين الجفون
لتستحضر كل ما مر بيننا، وينحدر شلال أدمعي
يلهب مقلتي ليفتضح أمري بين من يراني
والسائرون بعالمي، وتزداد لوعتي ويفترسني
البين وممزق أضلعي وتصارع دقائق قلبي
متسائلة إلى متى يظل طيفك هو همزة الوصل

إليك؟ ومتي تجبرك الحنين إلي؟ .. أما أنت أنت
يهتز قلبك لأنيني وتجبرك السمات التي تمر بيننا
بأن قلبي مازال إلى الآن لا ينبض إلا باسمك
وأنت حضورك خالداً يسري بمسرى دمائي.
وهنا نطق خالد محدثاً نفسه وهو ينظر في المرأة:

- وفاء.. مرت عشرة أعوام وها أنا لم
يغيرني فراقنا شيئاً إلا شوقاً وحنيناً.

وكأنه يسمعها ترد عليه بأن حبه مازال بقلبها
رغم السنين، ورغم البعد، ويرى طيفها يعانق
كل واقعه ويبدو أن السنين لم تغير حبه لها،
وكان خالد دوماً متبعاً للأخبارها بعد زواجها
سواء من زميلتها وزوجة صديقه الشاهدان
على حبهما الجريح، وحينما علم أنها أسمت
ابنها تيمناً باسمه أيقن حينها أنه باقٍ للأبد
بقلبها.

وظلت حياة وفاء مظلمة مع زواج يأتي إليها
مترخاً كل صباح.. لا يدري شيئاً عن أولاده..
يعتقد أن المال يعوض عن كل شيء، يرتشف

لذائذ الدنيا بأمواله.. لا يفرّق بين حلال
وحرام، ونفرت وفاء حتي من الحديث معه إلي
أن أتّي إليها يوماً جثة هامدة جرّاء حادثة
حدثت له وهو يقود سيارته تحت تأثير الخمر.
أطلق هاتفه خالد صفيره ، وكأنه يريد أن
يعلن له عن شيء هام وكأنه يريد أن يصل
ما قطعه الزمن من فراق مرغماً عليه.. تري
أجمع القدر بينهما أم يكون الفراق هو النصيب
السائد لهما؟.

نافذة الذكريات

أومأت برأسها من خلال نافذة السيارة ، وإذا
بيديه تكون حاجبًا ، فأومت إليه تجاهلها ،
وتمايلت تستند وأغمضت عينيها توحي له
بنومها ، وكأنها ترمي بكل هموم أشجانها على
كفٍ ، وكأن يده وسادة ممتزجة بنسمة صيف
عليك أو قطرة ندى تتساقط أو نغمة هادئة ،
وأغمضت عينيها ، وتمنت لو أن مسافة الوصول
تطول فاقرب منها وهمس:

- حبيبة.

وسمعت نطق اسمها فطارت مع صوته تسابق
الذى تراقص كأنها فرائشة تخلق في بستان يزهر
بالرياحين وتتمنى أن ينطق مرة ثانية اسمها
ولكنه صمت متأملًا لجمالها ، وأغمض عينيها
وطاف بها عاليًا يتراقصان بأشواق الصمت
مخلقين بهو الأمانى لمدينة أحلامهما سارقين
أنفسهما من واقعهما وهنا قطع الصمت أنين

الحين يوم أن افترقا منذ خمس سنوات، حينما كانت حبيبة تنتظر باسم في ذاك اليوم طالبا يدها من أهلها بعد أن صرح لها بحبه أثناء عملهما سوياً بإحدى المؤسسات الحكومية وبعد أن علم بحسن أخلاقها وأن شيئاً ما يجذبه إليها أبلغت حبيبة والدتها والتي رحبت بقدمه وأعطتها موعداً وكانت تلك اللحظة هي الموعد.

أخذت حبيبة تتزين بأجمل الثياب وسمعت صوت خالها بالخارج فأسرعت تسلم عليه وتستقبله فهو الآن ولي أمرها بعد أن توفي والدها الذي لم يكن له أخوة أو أقارب منذ أكثر من عشر سنوات، فقام الخال بدور الأب مع حبيبة والأخ الحنون العطوف الذي خلقه الله ليكون عوضاً لكل شيء لوالدة حبيبة، دخل الخال فرحاً مسروراً يحمل يديه بعض علب الحلوى لأجل الضيوف القادمين ويردد:

- ألف مبروك يا قلب خالك.

أجابته حبيبة وهي تحتضنه:

- بارك الله فيك يا خالي.
- وبدا الخجل على وجهي حبيبة فأسرع خالها
لما دعبتها موجهاً الكلام للأمها:
- الصغير كبر يا أم حبيبة.. ثرى من
صاحب الحظ الذي استوطن ذاك القلب
بهذا الحب الكبير؟
- أكثر من عريس يتقدم منذ أنت تخرجت من
جامعتها وهي ترفض، وجه خالها بابتسامة
سؤالاً مداعباً حبيبة مرة أخرى:
- هل كان زميلاً لك بالجامعة؟ انطقي يا
بنت.
- انصرفت حبيبة خجلة من خالها وهنا ابتسمت أم
حبيبة وهي تجيب أخاها:
- تعالي هنا بجانبني.. انتظر معي سنعرف
أنا وأنت كل شيء بعد قليل، هم على وشك
الوصول.
- خجلت كثيراً حبيبة من مداعبة خالها لها

وتركتهم ودخلت تكلم نريتها، فانتهر الخال
فرصة دخول حبيبة بالداخل وأخذ يتحدث مع
أخته عن هذا العريس الوافد والذي لا يعلم
شيئاً عنه سوى أنه زميل حبيبة بالعمل،
سمعت أم حبيبة طرّقاً خفيفاً بالباب فنهضت
مسرعة لتفتح فقال لها أخوها:

- لا عليك أنا سأستقبلهم.. ادخلي أنت
لتستعجلي حبيبة.

سمعت حبيبة صوت خالها وهو يرحب بالضيوف،
فترهل قلبها فرحاً وكاد أن يقفز من بين صدرها،
تركت الأم حبيبة ودخلت لترحب بالضيوف
ولأن «الدنيا ضيقة» مرهما افترق الأحباب يوماً
ما سيلتقيان، وكانت المفاجأة التي ستغير الأجواء
علي غير ما يتوقعون، وتحطم كل الآمال التي
كانت تتأهب للصعود اندهشت والدّة حبيبة مما
رأت فهذه هي جارتها سمية التي كانت تسكن
بنفس السكن منذ عشرين عاماً ويزيد.. نظرت
إلى هذا الشاب وهي تتسائل بهمت هل هذا
باسم بن سمية؟ أخذت تسأل نفسها وتحقق

إليه وهي متوجسة خيفة مما سيحدث والعجيب
أن نفس الإحساس قد انتاب سمية فبعد التحية
والسلام، استأذنت سمية سريعاً لوالدة حبيبة
بأنها تريد لها على انفراد ، ودخلتا اللئنتان
إلى حجرة مجاورة والخال والأب يتعجبان مما
يحدث وباسم ينظر للأمه في دهشة من أمرها..
جلستا تحدقات لبعضهما البعض.. بماذا يبدآن
الحديث؟.. وإذا بوالدة حبيبة تكسر الصمت
الذي دام بينهما داخل الحجرة بمفرديهما ولا
يعرفان من أين يبدآن فتقول :

- كيفك يا سمية؟ وكيف حالك؟ ومتي عدتم
بعد سفركم للخليج؟

سمية :

- الحمد لله كلنا بخير رجعنا من عامين
تقريباً.

والدة حبيبة :

- حمد لله علي سلامتكم.

وهنا يتلصحن سؤال حائر في نظرات عين
سمية، فتجاوبها والدّة حبيبة: - والد حبيبة
لقي ربه بعد مرور خمس سنوات من سفركما.

سمية:

- البقاء لله يا أم حبيبة.

والدّة حبيبة:

- لله البقاء الحمد لله رب العالمين.. مضت
على وفاته أكثر من خمسة عشرة عامًا يا أم
باسم.

وهنا صمت الاثنتان مرة أخرى وكأنهما يريدان
أن يستفسرا عن شيء مهم ولكنهما يخافان من
نتيجته..

قطع صمتهما صوت حبيبة وهي تدخل عليهما
مبتسمة والسعادة تخلق بها عاليًا بالسماء فسلمت
على والدّة باسم وإذا بالوجوم بدا علي
وجه أم باسم حيث سلمت عليها سلامًا فاترًا
شعرت من خلاله حبيبة بضيّق ووخز بهدرها

صاح الخال ينادي على حبيبة فخرجت بسرعة
تلبّي نداء خالها

وهنا أفصحت أم باسم عن مكثوت ما خافت البوع
به للأم حبيبة وهي تقول :

- أم حبيبة وما الحيلة فيما نعلم هذا أسرع الله؟..
أنتكتم الأمر ونأثم ونترك أولادنا دون معرفة؟

وهنا وقبل أن تجيب والدّة حبيبة بشيء دخلت
حبيبة عليهما لتعلمهما بأن خالها يريد أمها
ردت سمية على حبيبة وقالت:

- حسنا يا بنيّ سنخرج حالاً.

وخرج الجميع حيث يجلس باسم ووالده وخال
حبيبة ودخلت حبيبة تعد القهوة قبل أن تسلم
عليهما، وبعد مرور خمس دقائق سمعت حبيبة
هدوء غير عادياً وباب الشقة قبلها ينفلق
وكانت أحداً، خرج خرجت تتلصص لتعلم ما الخبر،
فوجدت أمها تجلس حزينّة شاردة ويبدو الوجوم
على وجه خالها وحينما رآها، نهض مسرعاً نحو

الباب وهو يردد:

- لا يوجد نصيب يا أُختي.. لا نعلم هذه
إرادة الله لعله خير.

حينها أصابت الكلمات قلب حبيبة وهي لا تعلم
ما السبب الذي حدث لكلي يذهب باسم ووالديه
بهذه السرعة، استعجت أن تتكلم أثناء وجود
خالها وانتظرت إلى أن ذهب وأخذت تتحدث مع
أمها.

وعلي الجانب الآخر باسم ودموع الحسرة تنساب
من عينيه وهو يقود السيارة والجميع صامتون
لا يعلمون بماذا يتكلمون؟!.. ويحدث نفسه غير
مصدق بهذه الأقدار الغريبة.

دخلت حبيبة حجرتها وهي تحدث نفسها لا تعلم
ما الحيلة وما العمل وتردد:

- أهلكذا ببساطة بعد أن أحببت، وهيات
نفسي بأن باسم سيكون زوجي وتعلق قلبي
به ونبض فؤادي لجه تأتي الليلة التي أنتظرها

لتفتح لي أبواب السعادة.. تأتي لتهدم آمالي
بسبب ما فعله الأهل ويصبح أخي.

وتبكي، وتمر السنين ويتزوج باسم زواجاً
تقليدياً لبناء أسرة له، وتتزوج حبيبة هي
الأخرى وتنسد الستار عن مبرهما الذي حكم
عليه بالبر للاستحالة العلاج ويصبحان أخاً
وأختاً مرغمين لذلك الواقع المفاجئ الذي
هدم معه كل خططهما ويظلان بعملهما ذهاباً
ورأياباً، وهنا تفيق على صوت نداء يهاقهما
بأنه آخر محطة للوصول، فتشهد صمتهما آهات
الآنين ليواصل الحياة تكررًا بين صباح ومساء
وهم يطلون علي نافذة مبرهما التي أغلقها
القدر سريعاً.

صمت موجه

دونت حروف وهدتي عليها تؤنس عزلي
و فراغي وسمعت صدى صمتي يناع مع الكون
أهاتي ودروب أحلام على هاوية السقوط أراه
من بعيد يتجاذب معي أطراف الحديث صمتًا..
أنطق الحنين وحررك في الأنين لماضي ينتظر رياح
الشوق كي تجذبه فيتراقص على سيمفونية
الوداع فتهدى معه العين عبرات الشوق
تجري على صفتي قلبي ويفلق الجفن مستحضراً
ذاك الماضي الجميل.

سمعت هي طرقت باب منزلها فأسرعت كي
تري من الطارق، فإذا به ساعي البريد يعطيها
مظروفًا بعلم الوصول، أغلقت الباب بعدما
شكرت الساعي وأسرعت كي تعلم ما مضمون
ذاك الخطاب وإذا بوجهها يتهلل فرحاً، فأسرعت
كي توقظ وجهها كي يشاركها سعادتها وفرحتها..

هو: متى سيكون موعد سفرنا؟

هي: مدوّنة هنا أنه يجب علينا السفر خلال أسبوع.

هو: حسنا سنرتب كل شيء.

هي: أخيراً ما أخطأ له سيحدث، إعاره أربع سنوات سنحقق فيها كل ما حلمنا به.

هو: ولكن لا تنسي أنني سأكون معك بدون عمل.. بنود العقد تنص على ذلك.

هي: أعلم ذلك.. ولكنني لم أغفل عن الدور الذي ستقوم به مع أولادنا، فأنت تعلم أنني متعاقد على إدارة توبيه، وأني سأجوب محافظات المملكة السعودية كل يوم في كل مكان.

هو بنظرة تجاهل لما قالت أشار لها بأنه يريد الفطور..

وقبل مرور الشهر سافر الاثنان وأولادهما إلى بلاد الخليج.. بلاد جديدة في الطباع والمنافع وكل شيء.

ومرت السنوات عاماً تلو العام وهي ما بين عملها الذي سرقها منهم خمسة أيام بالأسبوع، تعود إليهم كل خميس وتملك معهم إلى السبت متحملة أعباء الأسرة من غسل وطبخ وترتيب وكأنها آلة لا تكل ولا تمل، وكانت تعمل كل ذلك بحب متفانية مخلصه لبيتها وأبنائها وزوجها.

وعلى الجانب الآخر زوجها، كل مهامه أن يوصل الأبناء إلى مدارسهم ويقوم بتسخين الطعام الذي أعدته هي مسبقاً بالبرد على عدد أيام الأسبوع.. وتؤدي عملها كزوجة وأم دون إظهار لأي تعب يبدو واضحاً عليها بل تغلفه بابتسامة عريضة مملوءة بالرضا والسعادة، وانتهت سنوات التعاقد وعادوا إلى مصر، لكنهم لم يألفوا الحياة في مصر لأنها لا تقارن بما كانوا يتمتعون به في المملكة العربية السعودية وخاصة لزوجها الذي كان مستمتع بكل مزايا رجل الأعمال الذي لا يعمل، ومستمتع بحياة رغيدة مرهفة متنعم بكل شيء دون تعب أو أي جهد، فطلب منها هو أن تجدد العقد مرة

أخرى وبالفعل قد كان وسافرا و اقتلعتهم
 الغربية عشرات السنوات، وهو لا «شغلة له
 ولا مشغلة».. سعيدًا بهذا الدور الذي يقوم
 به.. وهي تقبض راتبها ولا تملك منه سوى
 أشياء بسيطة تحتاجها.. كانت مثلما الساقية التي
 تدور ولا تقف، وهو يتولى جميع الأمور حتى
 شراء أي عقارات كانت دوما باسمه هي تعمل
 وتأتي بالراتب وهو يخطط لكل شيء.

وكان لابد من الغريب مهما طالت غربته
 بالرجوع كبر الأولاد وكان لابد من الرجوع
 لاستقرارهم وزواجهم وقد أمنت لهم الأم
 مستقبلهم من بيت وسيارة ومبلغ من المال
 يكون بداية حياتهم ولأن الحياة لا تدوم ولأن
 دوما تكون مغلفة بالمفاجآت ولأن دوام الحال
 من المحال، كان لابد يوما من انفجار لكل
 مكتبات، وقع شجار بينها وبينه لأنها أرادت
 أن تساعد أخ لها ولأن جميع الأرصدة باسمه
 كان لابد أن يعلم زوجها، وحينما طلبت منه
 المبلغ رفض رفضا قاطعا أن يعطي لها أية مبالغ

متذرعاً بأن هذه الأموال ليس لها حق فيها،
أذهلتها المفاجأة وشلت كل حواسها ولم تستطع
أن ترد عليه بأي كلمة سوى بالصمت وكان
كلما حدث معه خلاف مع أولاده ردد أنه
صاحب فضل عليهم هو من خطط وفعل وفعل
ناسياً أمامهم دورها وما قامت به ولأن العمر
لم يبقَ منه الكثير للفراق وتعديل دفته، مرهما
عصفت بهما الرياح للأبد الآن من تجاوز تلك
العاصفة وأيقنت أن الفراق إن لم يحدث فعلياً،
فهو قد حدث شعوراً وإحساساً وأدركت حينها
مدى الأنانية التي ظهرت أو ربما هي من غضت
الطرف عن رؤيتها كل تلك الأعوام الفائتة
كي تسير عجلة الحياة للأجل أولادها.

ومرت الحياة بينهما كئيبه باردة خالية من
أي دفء، وفي يوم نطق ذاك الصمت بصوت
حزين، سقطت أرضاً على إثر دوار وألم شديد،
شعرت به حضر أولادها بعد أن هاتفهم هو
أمراً إياهم بالحضور، وحينما علم أبنائها
بمرضها هبوا جميعاً بجوارها ولأن المرض كان قد

استوطن جسدها، فكان لزاماً أن تخضع للإجراء
 بعض العمليات الجراحية وقد كان في غياب
 لدور زوجها الأناني الذي نسي ما قدمته له
 وللأبناء.. واليوم ها هي طريحة المرحض حامدة
 مطمئنة راضية بنصيبها من الله وما كتبه،
 ولكن ما يحزنها دور زوجها الثانوي وتجاهله
 ما هي فيه واليوم يطعننها بطعنته الأخيرة لها
 وللأولادها معلناً لهم بقراره الذي أظهر خسته
 ونذاته، أعلنها مدوية بأنه سيتزوج وكأنه
 بهذا القرار أثبت بجدارة بأنه أناني سيتزوج
 بالمالك التي تعبت علي مدار سنوات وسنوات
 من عمرها تكد وتعمل للحصول عليه، وهو
 منعم به وكأنها هي العبد الأجير عنده وهو
 السيد المطاع.. سمعت الخبر وهي تتوقع حدوثه
 من يوم أن أصيبت بمرضها تقبلت وهي راضية
 تناست أنانيته وغروره الزائفة، صمتت عن
 كل شيء وحتى العتاب صمتت عنه إلى أن أصبح
 الصمت خير رفيق لها.. هنا أصبح صمتها المجمع
 بديلاً مناسباً للفراق.

الهاربة

نظر إليها ذاك العجوز الواهن وهي تراقص
أمامه مظهره لفاتنها في ثوب خلع وكأنها
ترتديه ليكون قناعاً يوارى مزناً دفيناً بداخلها
وحياة مضت تخبئ خلفه منها، لتجعل منه
أسواراً عالية لا يستطيع أحد تسلقها ومعرفة ما
فيها.

أوماً ذاك المسن صاحب نقديّة الدولارات إشارة
إليها بالدنو ناحيته كي يلصق على صدرها
تلك النقود الممزجة برائحة النبيذ ويفوق
منها العطر الذي غمره ليمحو رائحته العفنة
، ويطلب منها أن تقترب لينهشها بنظراته وكأنه
ذئب يتحين فرصة ليفترسها أخذ ينفذ بعض
الأدخنة الصادرة من سيجارته العتيقة غالية
الثمن ويشير إلى هذا العملاق الواقف بجانبه
بحرسه وكأنه فيل ضخّم أن تخلي صالة الرقص
من الجمهور ليحظى هو منفرداً بهذا الجمال

والحسن الذي حرك صباه وشبابه من جديد.

فأوماً ذاك المخلوق الواثق خلفه منحنيًا
 باستجابة مطلبه موحيا له بأنه شريار عصره
 وزمانه، وعلي الجانب الآخر تتمايل صفية
 في انحاء حزين رغم تلك البسمة المصطنعة
 ونظرات عينيها الحائرة واشمئزاز لتلك الليلة
 التي ستقضيها مع ذلك العجوز العفن بأمواله.

ترقص على أنغام موسيقى الناي الحزين مع
 قرع الطبول الصاخب، وتريم ويتساقط دمعها
 ولا أحد يلاحظه مع بسمتها المزيفة وتدور هنا
 وهناك وتدور بها الدنيا، فترسم تلك اللحظات
 بينها وبين حبها الأول الذي كان سبباً في
 تواجدها هنا، وبينما هي تتمايل يساراً ويميناً..
 تتهادي بحركات جسدها لإثارة هذا الفتون بها
 كي يقدر ليلتها بضمن غاك يضاهي ما تشعر به
 تجاهه من ضيق وحسرة، وإذا بها تسقط وتهاوى
 أرضاً وصورة ذاك العجوز تبدل بتلك الليلة
 السوداء التي حملتها أقدامها لهذا المصير البشع.
 وسكب الليل ظلامه في ليالي آخر الشهر حيث لا

تمر منير ولا هلال يهرمن بضوء، قامت مسرعة
 حينما أيقظها صوت صفير القطار المار من أمام
 بيتها، ليعلن عن انتظاره لبضع الدقائق ليحمل
 علي متنه المسافرين، تباطأت خطواتها ثقيلة
 تجر أذيال الخيبة لطريق لا تعلم إلى أين؟ ..
 ظلام مخيف في ليل شتاء يكثُر فيه عواء الذئاب،
 تهرب بجنينها من موت محقق تاركاً ورائها
 الفضيحة والعار، تسكب من الأنين كؤوساً؛
 تتجرعها بمرارة الندم، تنظر إلى والدها المسكين
 الذي تعدى سنه السبعين، وهو ملتف بعباءته
 محتضناً معه عجزه وقلة ميلته حياة أصبحت
 نروجه هي الأمر الناهي لها، فهي امرأة ذات
 جمال وحُسن ملحوظ .. في عقدها الرابع من
 عمرها تستكثر حُسنها على ذاك العجوز الذي
 أرغمت عليه، وأصبحت هي التي تخرج وتعمل
 بالتجارة تاركاً إياه وكأنه فزاعة يحرس البيت
 في ثوب الضعف، وهوان شيخوخة أدركته
 منتظراً معها الموت على أريكته مع مذبتة يذب
 بها تلك الحشرات التي تتواجد عليه.

نظرت صفيّة إليه ، ودموع الحسرة والندم تعلو
 جبينها المنكسر على ثقتها في حبيب هتك ما
 بينها وبين الله من ستر، فقد سلمت له نفسها
 في لحظة ضعف كانت فارقة في حياتها ما بين حياة
 وموت.. أخذ ما أخذه منها ونفر بعد ذلك حتى
 من الحديث معها، ففي غرفه من سلمت نفسها
 بسهولة لا تستحق أن تكون زوجته ولا يوجد
 شيء اسمه حب.. من تفرط في شرفها لا تستحق
 إلا الموت ولا يجب على أحد أن يحترمها، ناسيًا
 أنه هو من غرر بها وأوقعها بسلامة العسول
 المتمزج بالكر والدهاء إلى أن أفاضت إليه وأن
 حرمانها أم ترشدها وتحنو عليها، وفراغًا
 عاطفيًا متمزجًا بقسوة زوجة أبيها كان دافعًا لها
 لترتمي في أحضان أول من يطرّق بابها باسم
 الحب، حتى وإن كان زائفًا، فهي لم تذق حلاوة
 الحب الحقيقي لتفرق بينهما، ونسي بل وتناسى
 أنهما في الجرم سواء وإن كان جرمه هو أشد،
 فهو رجل بالغ راشد، وهي للانزلة في سن لا
 تميز فيه الخبيث من الطيب.

تذكرت آخر لقاء بينهما حينما قال لها مبياً
على تساؤلها:

- متى سنتزوج؟

فرد قائلاً وكأن كلماته سوط يمزق أركانها:

- نراجع؟! من قال لك أنني سأتزوجك؟
من قال لك أنك بعدما سلمتي نفسك لي وحدثت
بيننا ما حدث.. لن أتصرف بك كي تكوني أمًا
للأولادي.. ألا تعلمين أن العرق دساس؟.. أنا
أخذت غاييتي منك، وأظن أنك أيضًا قضيتي ليلة
جميلة.

وبسمة صفراء ومكر ممزوج بدهاء الثعالب أراد
أن يجذبها نحوه ليعيد فعلته معها مرة أخرى،
ولكنها صدته وتعالى رفضها بالصراخ، فكتف
صوتها واضعاً يده علي فمها مهدداً إياها أنه إذا
علم أحد بما جرى بينهما سيحرق بيتهما وأبيها،
وكل من فيه.

صدمها واقع الذي كان بالأمن القريب حبيباً

واليوم في ثوب ثعلب فعل فعلته والآت يكرر
بها ويهددها.

تركته مع ذاك المكان المعهود الذي شهد عدة
لقاءات بينهما، ورحلت ومضت الأيام تلو الأيام
إلى أن ظهرت عليها دناءته وفاحت فعلته في
بطونها، واليوم رأتة يهمن في أذن زوجة أبيها
و كأنه يحكي لها ما فعله بابنة زوجها التي تريد
أن تتخلص منها، وظهر لها ما خطط له، ووقعت
المسكنة تحت هذا العفن وتلك الساقطة التي
أرادت أن يخلو لها البيت مع ذاك العسيق، خافت
وارتعبت وباتت نيتها على أن الرميل هو
الخالص، وقفت شاردة أمام أبيها النائم وفتحت
الباب بسرعة بعباءتها السوداء التي لا تظهر
منها شيئاً، وخرجت لا تعلم إلى أين سيأخذها
هذا القطار؟

أسرعت الخطى لتلتحق بالعربة الأخيرة مع صفيح
القطار يدوي يريد إيقاف النائم لكن خطواتها
كانت أسرع من ذاك الصوت.

أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى ذَاكَ الْمَقْعَدِ وَأَسْدَلَتْ عَنْهَا
عِبَاءَهَا لَا إِرَادِيَا سَاقِطَةً مِنْ عَلَى جَسَدِهَا
لَتَعْلَنَ عَنْ ذَاكَ الْعَرِيِّ الَّذِي سَيَهَيِّبُ حَيَاتَهَا
الْجَدِيدَةَ وَهَذَا الْفِرَاقَ الدَّامِيَّ بَيْنَ طَهْرَهَا
وَأُبَيِّهَا الَّتِي حَيًّا وَذَكَرِيَّاتِ أُمِّهَا الرَّاحِلَةِ عَنْهَا
وَأَلَمَ وَأُنِينَ لِحَبِيبِ صَارَ عَدُوًّا، وَانْخَدَرَتْ دَمْعَةٌ مِنْ
جَفْنَيْهَا تَمَزَقُ أَحْشَاءُهَا مَتَلَمِّسَةً بِيَدِهَا هَذَا اللَّكَّائِنَ
بِرَحْمَتِهَا تَتَسَاوَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا مَاذَا سَيَكُونُ
مَصِيرُهُ، وَإِلَى أَيْنَ يَأْخُذُهَا هَذَا الْقَطَارُ.

نَزَلْتُ مِنَ الْقَطَارِ لَا تَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ تَتَجَهَّ وَإِلَى مَنْ
تَذْهَبُ؟ دَخَلْتُ مَتَاهَةً لَا تَعْلَمُ بِدَايَتِهَا مِنْ نَهَايَتِهَا
لَا مَالٍ مَعَهَا وَلَا مَأْوِيَّ لَا تَعْرِفُ أَحَدًا تَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ
إِذَا مَالَتْ بِهَا رِيَّاحُ ذَاكَ الطَّرِيقِ لَا أَحَدٌ تَسْتَقِرُّ
عِنْدَهُ يَتَلَقَّفُهَا مِنْ مَتَاهَةِ الْمَدِينَةِ، وَشَوَارِعِ
الْقَاهِرَةِ الْكَبِيرَةِ عَلَى عَكْسِ قَرْيَةِ الصَّعِيدِ الَّتِي
مَضَرَّتْ مِنْهَا.

لَيْلَةٌ وَيَوْمَانِ لَمْ تَذُقْ فِيهِمَا شَرْبَةَ مَاءٍ أَوْ قِطْعَةَ
خُبْزٍ فَتَهَاوَتْ أَرْضًا، وَإِذَا بِسَيَّارَةٍ كَانَتْ تَتَرَقَّبُهَا
مِنْ بَعِيدٍ بَعْدَ سِرِّ عَلَى أَقْدَامِهَا صَارَ لِسَاعَاتِ

طويلة.. سيارة تترقب وتنتظر بها سيدة
ورجل وها حانت لهما الفرصة وأخذها إلى
المستشفى وتفقده جينها الذي رفض أن يأتي
لهذا المصير المجهول ويتبعانها، بعدما خرجت
من المستشفى.. عرضا عليها العمل لتغمس في
ضخالة الخطيئة، لتدفع ممناً غالياً لذاك الفراق
الذي أرغمت عليه هاربة من فضيحتها، لتقع
في ذاك المستنقع العفن تاركة زوجة أبيها تنعم
وتلذذ في ثوب البراءة أمام مجتمع لا يعترف إلا
بظواهر الأمور.

وتستمر حياة زوجة أبيها لا يعلم عنها أحد شيئاً،
فقد أحكمت الخطاة بالخدايع ممتزجة ببرقع الخيانة
والرذيلة بداخل ذاك البيت الخرب، ومازال
أبوها يذب بتلك الذبّة تلك الحشرات الواقفة
على وجهه، وتفيق صفة على صورة هذا
العجوز التهابي خالغاً رداء الحياء ومحاول أن
يستمتع بجسدها مقابل ما دفعه لسيدها مسبقاً،
فتنهار عليه ضرباً ليسقط صريعاً على الأرض..
تبسم ضاحكة بأعلى صوتها كأنها تتأثر لنفسها

وكأنها أفقت ما بين وجه أبيها الجالس على
أريكته وهذا الوقت أمامها وتضحك بصوت
عالٍ وتردد:

- أيتها الموت ها أنا ذا.. احضر هنا لتخلصني
من ذلك العذاب، فأنا مت فعلياً حينما أحببت
ورثقت.

وينتهي مهير صفية في هذا السجن لا تجد من
يدافع حتى عنها، وفي صباح اليوم يتقدم محمود
الحامي الشاب الذي لا يتعدى سنه الخامسة
والثلاثون إلي مأمور السجن بطلب مقابلة
صفية لتولي الدفاع عنها، ويوافق على
طلبه.. وتدخل صفية وتسأله:

- من وكلّك عني كي تدافع عن قضية
خاسرة من أول جلسة؟

فيرد محمود مجيباً:

- الذي وكلني هو صاحبة الصورة.

ويناولها الصورة وتقع الصورة في يد صفية،

فتصعق حينما تجد صورة أمها هي التي أمامها
ويستد بكاؤها وهي تتسائل:

- من أين أتيت بهذه الصورة؟ .. إنها صورة
أمي رجمة الله عليها

يجيب محمود قائلاً:

- ألم يخبرك أحمد أن لك خالة هنا بالقاهرة؟

يجيب صفية مندهشة:

- خالة؟! .. لا أعلم شيئاً عن ذلك.. ومن
تكون أنت؟

هنا أجابها محمود:

- أنا ابن خالتك وعلمت بالحادثة من
الجرائد وحينما قرأت الاسم بحثت عن أسماء
العائلة التي كانت أمي رجمة الله عليها، تحفظ
بهم وبعض من الصور فوجدت صورة أمك التي
تشبهك تماماً يا صفية.

أجابت صفية:

- وماذا تريد مني الآن؟ .. أنا قتلت هذا الرجل العفن وسأناك عقوبتي التي يرى الله أنني أستحقها.

أسكه محمود يدها وقال :

- ستخرجين.. أنا من سيدافع عنك لن أتركك.. أنت الآن دمي وعرضي.

صاحت صفيّة في وجه وقالت :

- أنت لا تعلم ماذا فعلت.. أنا أستحق الإعدام.. أنا لا أستحق دفاعك.. أنا بالفعل فعلت أشياء كثيرة يجب علي الآن أن أدفع ثمنها.

- اسمعي يا ابنة خالتي.. أنا وأنت ليس لنا أحد غير بعضنا البعض، أنا لن أتركك أعدك أنني سأحاول أن يكون حكمًا مخففًا دفاعًا عن النفس، وحينما تخرجين ستجدينني وبيتي بانتظارك.

ومرت الأيام وتكررت زيارات محمود لصفيّة وتعلق قلبها به، كانت تنتظر اللحظات التي يأتي إليها حاملاً معه كل ما تحتاجه، وجدت فيه

حنان الأفع وراحتواء الألب وارب نبض مبه بقلبها
لكنها أرادت ألا تستجيب له لأنها تعلم بأنه قد
محدث أن يحكم عليها بالموت رغم أنها وجدت
الحب في نظرات عينيه إلا أنها خافت عليه ألم
الفقد وكانت آخر زيارة له قبل جلسة النطق
بالحكم بعد مرافعاته العديدة المتكررة، في أكثر
من جلسة واليوم وكأنه أتى لوداعها، أتى
حاملًا معه كل شيء وكأنه يريد أن يعترف لها
بمبه قبل النطق بالحكم الذي كان متأكدًا بأنه
سيكون حكمًا مخففًا أقصاه خمس سنوات إن لم
تكن البراءة.

وفي أثناء حديثهما اعترف محمود قائلاً:

- صفة.. أنا أريد أن أترف لك بشيء
هام.

قاطعه صفة قائلة:

- لا أريد منك أي اعترافات تندم عليها
يومًا ما.. أنا أيامي باتت معدودة في هذه الدنيا.

وأخذت تبكي، رأت قلب محمود بها قائلاً:

- لا تبك.. أنا بعون الله سأخرجك من هنا..
أعلم جيداً أنك كنت ضحية ظروف حياة قاسية
وصعبة، أنا متأكد يا صفية ببرائتك، ستخرجين
ونبدأ حياتنا سوياً.

وأخرج من جيبه خاتماً وألبسه إياه وردد:

- أتقبلين ابن خالتك زوجاً لك؟

فوجئت صفية بما حدث من محمود وانتابها
إحساس ممزوج بالسعادة والحزن بالخوف والأمان
وتسائلت.. هل يمكن أن تضحك لها الأيام؟..
وتأتي السعادة التي حُرمت منها.

ومرت الأيام ثقيلة إلى أن أتى يوم تحديد
مهريها، وهما هي صفية في ذاك القفص الحديدي
تستمع لدفاع ابن خالتها عنها وبدأ عليه تمكنه
من مهنته وانتهى من مرافقته بانتظار القاضي
للنطق بالحكم، واقترب إلى صفية ممسكاً يدها
ونظرات حانية دبت معها حياة جديدة فيها.

قاطعها صوت الحاجب منبرًا لدخول القاضي وهو
يقول:

- حكمت الحكمة حضورًا على التهمة :
صفية على فتحي

وتسدك الستار مع حكم القاضي وأعين
الحاضرين ومياة جديدة لصفية ومحمود ووصول
تلك الهاربة بقطار مياتها إلى بر الأمان.

وميض

جلست أمام تلك الشاشة منتظرة على موقع التواصل الاجتماعي المسمى بالفيس بوك وميض ذاك الضوء الأخضر الذي معه تحيا الدنيا وتزدهر تشعر حينما ينبعث نوره أمامها بدفء تفتقده حواسها ومشاعرها، فيسري في وجدانها وغياها طيفه فيصور لها ذاك العالم الافتراضي بأنه حقيقة واقعية خلفت تلك الشاشة، تتألم قلوب وتنخدع قلوب وتنجم قلوب في ارتداء أقنعة تحال على بعضهم بالأحاسيس المصطنعة، وتبهر قلوب بجمال تلك الأقنعة بل وتنجذب إليها وتدمنها رغم زيفها لأنها هي التي تستطيع أن تزيل مرارة واقعهم الأليم وتهرب معهم قلوبهم اليائسة التي تفتقد الحنان والاهتمام.

(متصل) ..

كلمة تكتب على خلفية هذه الشاشة أحيانا فتصل معها الساعات بالساعات وتمر وكأنها

دقائق، تحدر الزمن وتوقف معها العقارب،
فيحلو بينهما السهر، وتُسرق روحيهما ويثقل
جسديهما عن الحركة وأحياناً تكون (غير
متصل) فتشعرهم بالحيرة وتضيّق بهن الدنيا
حينما يصعب اللقاء إلا في عكسها من الكلمات.

أخذت نرمين ذاك «الماوس» وبدأت تحرك تلك
الرسائل لتعيد أحداث غرامها في هذا السمي
(سات) وها هي تقرأ أعذب الكلمات التي تحرك
جبال الشوق إليه، ترى هذا القلب الأهمر
الذي أرسله إليها وتلك الشفاه التي تومئ
بالقبل التي كلما رأتها تظهر على وجنتيها
حمرة الخجل، وترى ردها عليه بوجه يخبيئ
وجه بيده دليلاً على فجلها منه.

أغمضت عينيها لتتذكر حلو حديثه حينما حدثها
هاتفياً يستغيث ونيران الشوق تقتله لسماع
صوتها، وتذكرت حينما تستيقظ بسرعة لترى
صفحته فإذا به ينشر الشوق قصائداً إليها دون
أن يسمي قصائده، فيكفيها أن تعلم من توقيع
في نهاية كل قصيدة.. إليك.... فتسعد وتغرد

البلابل في واحة خيالها كأنها تراقص معه
تحت زخات المطر، ترسم مع تلك الحروف وكأنها
حقيقة وليست مجرد كلمات.. تنهد تنهيدة
المشتاق.. تسائل أين ذهب؟.. ترى ألم يشتاق
لحرفي؟.. ألم يهمن صمت شوقي في ليله؟..
ليجذبه الحنين ليضيء بهذه الأيقونة بالإشارة
الخضراء، اختارت واختار صمتها.. إلى أين
تذهب لتسأل عنه وهي تعلم إن دون قلمها
حرف بالسؤال عنه للأمد سيفتضح أمرها. مجبها
وشوقها إليه، تذهب إلى الأصدقاء المشتركين
بينهما على دون لهم إعجاباً أو تركه عندهم
تعلقاً، يروي بقطرة عطش شوقها إليه، هاهي
صديقة بينهما وكانت مقربة منه.. ترى أتدري
أين هو؟.. تسطر حروفاً إليها، وتبعك كل تلك
الكلمات بأهات الأنين والشوق ولكن سرعان
ما تمحوها وتتردد في إرسالها، ترجع مرة أخرى
إلى حديثه بهذا الركن الذي يشهد ميلاد
حبهما وتقلب في تلك الجمل الحملة بالأسواق
إليها منه، والتي تترجم تلك الشاعر والأحاسيس
بينهما ويستوقفها سرده عن حياته وبومه

بلك أسرارها إليها، وأنها تقبلته وتقبلت بوجهه رغم أن له حياته الأسرية وأن واقعه مأسور خمسة أطفال وزوجة وأنه يحبهم ولا يستطيع الابتعاد عنهم، ورغم ذلك ينجذب إليها ولم يستطع التخلي عنها وأنه مجبها حباً جماً، تنهدت بأنين رنج سامعها مع ذاك اللكون الهامت، وهي تتذكر كيف أخفت عنه حقيقتها، ومع ذلك تقبل حبه بل وعشقه لهراحمته معها ولكن أين ذهب؟ يوم بليلة وهذا السات لا ينطق.. أخذتها الحيرة ونأهت في دروب القلق واطفأت الجهان، وذهبت لكي تحاول أن تنام.. تضغط على كرسيها لينقلها تلك الخطوات إلى سريرها، يصعب عليها المرور وكأن الخطوات تحتاج إلى دهر كامل لعبورها، تتراجع في سيرها وهي تسمع أذان الفجر ويهدم قلبها بتلك الدقات السريعة وينقبض فؤادها وتنحدر دمعة تشق طريقاً حزن بادية على الأبواب، أخذت وضعها لتصلي وهي ملقاة على كرسيها المتحركة لتؤدي صلاة الفجر وتدعو الله أن يطمئن ميرتها عليه، وما أن انتهت بالصلاة والدعاء طالبة من الله

أنت يهدي قلبها لأنه ملاذها في دنيا تملو من
الأحباب، وشلت فيها كل الأحاسيس لم يبقَ منهم
إلا شفقة ممزوجة بعطف مفروض، وهو الوحيد
الذي أحبها بصدق ولا تعلم ترى لو علم بهذا
المصير ماذا سيكون رد فعله.. أيتها حتى من
السؤال عليها أم سيظل بجوارها رفيقاً حنوناً.

هي لا تقيد بوعده ولا ترغمه بشيء فهي
تعلم واقعها جيداً، وتعلم أنه رب أسرة وله
حياته ولكنها تحبه حباً خالياً من أي التزامات ولا
تعلم إن كان طريقها هذا صحيحاً أم خطأ ولكنها
رفعت ألقها إلى ربها ليهدي بالها ويرحمها من
هذا الأنين والحنين المومع.

رجعت مرة أخرى لتلك الشاشة الحاجبة عنها
أخباره وأخذت تدون منشورات أدعية
وصباحات تومحي لن يقرأها بالأمل لصباح يوم
جديد، وها هو قد نطق الكون بتلك الصاعقة
التي لا تعلم أم حقيقة أم هراء.. تتلعثم مرّاتها
وتقف برهة وكأنها دهور من الزمن غير
مصدقة، فهذا نعيه من بعض أصدقائه يعلن

عن وفاته بمحادث قبل فجر اليوم بدقائق تنحدر
 الدموع من عينيها أنهاراً كي تغرق في أحزانها،
 تتسائل أكانت هذه النبضة وقبضة صدري حينها
 هي موتك، وتنهار في صمت أحزانها وفراق لم
 تكتمل بدايته مع حب افتراضي مع تلك الكلمات
 والحروف مات هو وانتهى ذاك الضوء الأخضر
 من صفحته وتغلق نرمين تلك الشاشة للأجل
 غير مسمى وتستسلم للأحزانها.. وتستجدي
 طيفه في منامها عليه يخبرها بحاله وفي ليلة إذا
 بها تنام ودمعها يشق وجنتيها بحرارة شوقها
 إليه ويخطفها النوم وتراه وكأنه أمامها يحمل
 باقات الورد ويتسم في أحلى هيئة له
 ويطلب منها أن تبسم بإشارة منه أنه مازال
 بجوارها.. يعلم ما بها من حزن ويطلب منها
 أن تبسم ليعود إليها، وتفتح عينيها مرة أخرى
 تتأمل مخرجتها التي تسكنها الوحدة وباب شقتها
 الذي لا يطرقة أحد إلا تلك السيدة التي تحضر
 إليها يوماً بعد يوم، لتنظف البيت وتعد لها
 طعامها وتشتري احتياجاتها من الخارج، وهدوء
 قاتل مع سنها الذي تجاوز الأربعين ومرضى

أنهكها وأعجز قدميها عن الحركة وأثر على
فرصها للزواج نظراً لحالتها الصحية، تأملت حالها
وحزنت دفين يسري بعروقها وتمضي الأيام وتمر
متأقلة ما بين كتاب تتصفح وقنوات بالتلفاز
تركها وتنام لتعطي صوتاً بالشقة يؤنسها مرة
أخرى وتستيقظ مبتسمة بإحسان ممزوج برضا
وتسرع إلى تلك الشاشة، وتسرع لتبعتها عن
وميض آخر عليها تجد من يؤنس وحدتها ويهتم
للأمرها.. عليها تجد حبيباً آخر.

وماذا بعد الفراق؟

وقفت أشرف ومنى ينظران من خلف الجدار الزجاجي وهما يشاهدان هذا الطفل الجميل داخل تلك الحجرة المسماة بالحضانة وهو يجاهد مع هذه الأجهزة التي يتعلق بها من كل جانب ويتحرك يمينا ويسارا بقدميه ويديه الصغيرتان وكأنه يهارع هذه الحياة الجديدة الضيقة رغم اتساعها، واشتياقه لرحم أمه الذي كان مسعا على ضيق محجمه إلا أنه كان يشعر بالراحة والأمان مع دقائق ونبضات قلبها الخنون.

وضع أشرف يده على كتف منى وضمها إليه بحنان بينما هي تنظر إلى الطفل الجميل وأغمضت عينيها حيث ذاك المشهد حينما كانت في وداع صديقتها وكأنها تريد أن توقف عقارب الزمن لهذه اللحظات، نظرت إلى منال وهي تردد:

- سأفقدك كثيرا يا منال.

وإذ بدعة تنحدر من عين منال تحاول إخفائها

بابتسامة مصطنعة توحي بها لصديقتها منى
وتردد:

- وأنا كذلك سأفتقدك كثيراً ولكنني سأتصل
بك يومياً وأملكي لك كل شيء كما لو كنا هنا
بجوار بعض.

فقد كانت منى ومناك صديقتان منذ سنوات
الدراسة سوياً وفترة الجامعة، وكانتا من بلدة
واحدة فكان من يراهما يستشعر أنهما توأمان
وكانت صداقتهما قد أضافت بريقاً مشابهاً لبعضهما
البعض، وتزوجت منك وكان زواجهما يعمل
مدرساً ويقدر ويحترم تلك الصداقة التي كانت
بين زوجته وصديقتها بل وخلقت صداقة
جديدة بينه وبين زوج منى.

وسافرت منى وأشرفت مودعين منك وزوجها
بابتسامة هانية على أمل اللقاء القريب، فقد
تزوجت منى قبل منك بعام ولم تترك منى
هي وزوجها بأطفال رغم أنه لا توجد أي موانع
تعوق عملية الإنجاب، ورغم حينئذٍهما للأطفال

واشتياقهما إلا أنهما كانا صابرين محتسبين راضيين بقدر الله وقضائه، ومر على زواجهما ثلاثة أعوام وكان للتشابه العجيب بين منال ومنى في مسألة الإنجاب أمرًا عجيبًا فبعد زواج منال أيضًا تأخرت فترة الإنجاب لديها عامات مما جعل حلمهما سويًا هو الإنجاب.

وفي يوم دق هاتف منى فإذا بمنال تحادثها بأنها سوف تذهب للطبيب وتقوم بإجراء بعض التحاليل لأنه بدت هناك بادرة أمل بموضوع الإنجاب، فرحت كثيرًا منى لهذا الأمر كما لو كانت هي وليست صديقتها وأسرعت، ترد فتجاذبا الحديت فقالت لها منال:

- أنا خائفة جدًا يا منى من أن تكون النتائج سلبية، وأنت تعلمين زوجي ووالده مستاقين جدًا للطفل.

منى ترد بحنان الصديقة المتزوج بالأخوة:

- لا تخافي سيبشركِ الطبيب إن شاء الله بقدم أول ضيف وسيأتينا بباقي الضيوف.

طمأنت منى مناك ودعت الله أن يرزقها كي
يهدأ بال زوجها ووالده عليها، وما أن أتى
الليل إلا ونطق صمته هاتفت منى ببشري مناك
تخبرها بأنه استجاب الله دعائها.

فرحت منى كثيراً كما لو أنها هي التي حملت
وليس صديقتها، ومرت الشهور ورجعت منى
إلى مهر رجموعاً نهائياً، فقد أنهى زوجها حسن
فترة تعاقدته ورجع إلى عمله وعبادته.

وقرب موعد ولادة مناك ففرحت منى كثيراً
لأنها ستكون مع صديقتها أثناء الولادة تشاركها
اللحظة أولاً بأول، ولأن مناك كانت يتيمة الأم
والأب وليس لها أخوات، فكانت مناك لها بمثابة
الأم في حنانها والأخت في رعايتها واهتمامها،
وكانت منى هي المسئول عن مشتريات ذاك
الضيف العزيز ومناك مسرورة وسعيدة لذلك،
وفي الأيام الأخيرة كانا يذهبان سوياً لشراء كل
شيء، ويسترجعان بذاكرتهما أيام الدراسة
الجميلة وذهابهما ورواحهما سوياً كل يوم،
وكانوا كلما را بملكان تنهدا تنهيدة حنين

لتلك الفترة الجميلة. حياتيهما وكأن القدر يحبى
مفاجآت. مجعبته لهما.

انتصف ليل هذه الليلة الباردة التي يكثُر فيها
الضباب وتشتد فيها الرياح ويُسمع أنريزه وكأنه
جريح يتألم وبينما منى نائمة وإذا بالهاتف
يزعج نومها، فتنتفض بسرعة تلتقطه وإذا
بصراف مناك وبكائها تستغيث بصديقها تستكي
ألم المخاض وتسرع منى لتوقظ زوجها أشرف
ليذهب إليها.. أحست منى بقبضة بقلبها لا تعلم
أهو خوف على صديقة عمرها أم أن شيئاً
غير مبشر سيحدث، وصلت إلى المستشفى وتعانقا
عناقاً ممزجاً باللحفة والخوف والرجاء.

ودعت منى مناك قائلة لها:

- ستكونين بخير يا حبيبتي إن شاء الله.

ردت مناك :

- منى إن لم يكتب الله لي السلامة أوصيك
بطفلي لا تجعلى أحد يريه ويعتني به غيرك

هو وصيتي لك.

أحسنت منى بثقل العهد وخافت عليها وارتابت
من كلام مناك من أن يهيبها مكروه، لكنها
تماسكت، وتحجرت الدموع في عينيها أمامها
كهي لا تشعرها بخوفها عليها ومرت تلك الفترة
على منى ثقيلة وكأن عقارب الزمن تعطلت
عن الدوران وسمعت منى بلاء سعيداً، هكذا
اختارت منى ومناك ذاك الاسم مستبشرين بأن
تكون حياته سعيدة، وطمأن الطبيب المشرف
على ولادة مناك وزوج منى حينما أسرع إليه
يستفسر عن حالة مناك هو وزوج مناك ومنى
بأنها بخير ولكن الطفل يحتاج المكوث بالخاضنة
لضعف مجمه على الأقل خمسة أيام تحت
الرعاية، وخرجت مناك من غرفة العمليات
وفرع الجميع وسعدت منى لخروجها وظلت معها
ليومين إلى أن كتب لهم الطبيب خروجاً، وظل
سعيد بالمستشفى تحت الرعاية والاهتمام.

وفي اليوم المراد لخروج الطفل هاتفته
مناك منى وهي سعيدة قائلة:

- منى سذهب للإحضار سعيد الآن.. هل ستأتين معنا؟

ردت منى:

- حبيبتي اذهبوا أنتم لأن أشراف خرج لحالة طارئة، وحينما يرجع سنلحق بكم إن شاء الله.

أنهت منى حديثها مع منال ثم قامت لتجهيز نفسها كي تكون متأهبة للخروج حينما يصل أشراف وما هي إلا دقائق و حضر أشراف.

قابلته أمام البيت وهو بسيارته وذهبا سريعا إليهم، وإذا بالطريق ازدحام غير عادي بسبب حادثة مروعة بين سيارة ملاكي وشاحنة نقل كبيرة، قام أشراف بالوقوف والتنحي بجانب الطريق بسيارته، وذهب كونه طبيبا ليرى المصابين والإطالع عليهم وإنقاذهم حتى تأتي سيارة الإسعاف وذهبت معه منى واقتربا، وكانت الشاحنة التي شلت ركائيهما وزلزلت كيانهما، فمصابو الحادث لم يكونوا سوى منال وزوجها ووالده وقد فاضت روح الوالد وزوج

منال في حينه، ومنال في النزع الأخير، أسرع
إليها منى تصرخ وتبكي منال وأخذتها بحضنها.
أفاقت منال لدقائق معدودة حينما سمعت صوت
منى وقالت لها بصوت متقطع:

- سعيد وصيتي لك.. أرجوك عديني بذلك.

أجابتها منى بدمع عينيها وقالت:

- هو في عيني.

ولم تكلم منى بجملة واحدة حتى لفظت منال أنفاسها
الأخيرة وفاضت روحها إلى بارئها وظلت منى
تبكي وتصرخ.

أفاقت منى وهي تنظر لذاك الطفل الشقي
الذي لم يمتلك من اسمه شيئاً.. رددت منى:

- سعيد.. هكذا اسمه .. سعيد.. أيلكون
سعيداً حقاً بلا أب وأم.. من أين ستأتي لك
السعادة يا بني؟ وقد أصبحت يتيمًا ولا أحم لك.

ضمها أشرف إليه وهما يبكيان سويًا لفقد
أعزاء على قلوبهما، وتسقط منى ويلتقفها

أشرف بين ذراعيه وإذا بسعيد يبكي ويصرخ
وتزيد أناته وهنا تصمت منى عن البكاء
وتنتهب واقفة تنظر إلى ذاك الطفل المسكين
الذي ولد وحيداً.. ترى ماذا ستفعل به الأيام؟

أخذت منى الطفل في أحضانها وهي تضم قلبه
لقلبها وتتعجب من مشيئة القدر.. ابن بلا
أم وأب، وهي وزوجها كل رجاؤهما في الله
أن يرزقهما بطفل وكأن الله ساق إليها هذا
الطفل ورتب لهذه الصداقة للأجلها.. سبحان
من ينظم هذا الكون وفقاً لحكمته هو وتدبيره
هو سبحان الملك.

وصلت منى لبيتها هي وزوجها ونالتهما هذا
اليتيم، وكأن الله قذف في قلبيهما محبة منذ
لحظة دخوله بيتهما، جلست تنظر إليه وإلى كفيه
الصغيرين وعينيه البراقة الجميلة، وفي لحظة
أمسك الطفل لا إرادياً إصبع منى، فسرت في
جسدها حرارة الأمومة التي تدفقت في ثديها،
ثم ضمته وبكت بكاء الحروم القانع الراضي وإذا
بحبيب في صدرها يتدفق وذلك لأنها كانت دوماً

تتعاطى أدوية للإجباب، فرما تلك الأدوية التي كانت سبباً أيضاً، لتدفق ذاك الحليب بصدرها وهذه هي عناية الله بالوليد، يجعل العقيم أمًا وتدر لبناً لطفل ليس ابنها ولكنها الأمومة التي مع إرادة الله تتحقق بها العجزات.

تعجبت منى لذلك الأمر، وإذا بالطفل يبكي بكاء الابن للأم وهي تبكي معه ولا تعلم كيف لها أن تتصرف إلى أن يأتي زوجها بغذاء الطفل من المستشفى، فقد نسيت الممرضة إعطائهما الحليب.

اضطر أشرف بعد أن أوصلها هي والطفل للرجوع مرة أخرى، وبدافع الأمومة التي شعرت بها أثناء بكاء الطفل وبوخز أحست به في ثديها قامت بإرضاعه.. أَرْضَعَتْ وهي لا تعلم أصواب ما تقوم به أم خطأ، قام الطفل بالتقام صدرها بشراهة وهي تتعجب مما يحدث ولا تعلم إذا كان بالفعل هو لبن حقيقي أم هو حنين جارف لها، وبدأ الطفل يستطعم لبن أمه الجديدة وهو هادئ هانئ وكأنها أولى لحظات

السعادة التي اقتسمها مع أمه منى ونام الطفل وهي تنظر إليه وتتعجب لقدرة الله وللغذاء الذي ساقه الله في صدرها له.

دخل أشرف ورأى ذاك المنظر، فوقف مندهشاً للأمر ويشاهد هذه القدرة العجيبة، ومرت الأيام هائلة بهذا الطفل الذي ملأ الكون سعادة لمنى وزوجها، وبعد مرور شهر، هاتف محامي أسرة زوج منال أشرف كي يتمم عملية إعلان الوراثة ويعلن الوصاية على الطفل، ويرتب المحامي كل الأوراق التي تثبت حق الطفل في ميراث أبيه وأمه والذي كان هو الوريث الوحيد لهما، وأصبح أشرف زوج منى هو الحارس عليه، ومرت الشهور ومنى تعطي سعيد كل اهتمامها حتى أنها كانت تهمل زواجها أشرف، ورغم ذلك كانت الاثنتان سعيدين بوجود ذاك الطفل الذي تزيد ملكاته بقلبيهما يوماً بعد يوم، وفي ليلة من الليالي كانت منى تعاني من حمى حادة وكانت حرارتها مرتفعة جداً، فقامت من نومها على إثر بكاء سعيد،

فانتفضت مسرعة له وضمته في حنان رغم
مرضها وجلست ترضعه وإذا بالطفل ينظر إليها
ويبتسم مردداً:

- مم

وردد ثانية:

- مم

وكأنه يلفت انتباهها أو أنه يود مسح ذاك المرض
عنها، فابتسمت وهي تبكي.. مم، مم.. وقبلت
يده في سعادة غامرة وأخذته في أمضائها ونامت،
وإذا بها تهلك عليها مناك وتنادي عليها وهي
تلبس فستانها الأبيض وتحمل بيدها بعض زهور
الياسمين وتبتسم وتنثر تلك الزهور عليها،
وعينها رأتها منى فرحت كثيراً وأسرعت إليها
لكن الواقع أسدك ستأثره ليقطع هذا الاتصال
الروحي بينهما.

ومرت الأيام والسنوات سريعة ومنى سعيدة
بتلك الحياة الجديدة وهذا الابن الذي عوضها

هذا الإحساس الجميل إحساس الأمومة التي
حرمت منه ، وملاً سعيد حياتها وحياة زوجها
وجعل لحياتهما هدف سام يسعان للأجله ، فبعد
فراق صديقتهما كانت كلما نظرت إلى سعيد بملامح
أمه مناك تغمض عينيها عليها ترى صورتها في
مخيلتها.

كبر سعيد وربته منى أفضل تربية ، وقامت
برعايته على أكمل وجه ، ولم تحف عليه
حادثة أمه وحقيقة قربها له ، فكانت تخصص ركنًا
بغرفته به كل صور عائلته الحقيقة وتقوم كل
فترة بالحديث عنهم له ، وفي يوم وقفت منى
وهي ترتدي أجمل ثيابها أمام المرأة فإذا بصورة
مناك بمخيلتها ، وكأنها تشكرها لتمام رسالتها مع
ابنها ، وهنا سمعت منى سعيد يحادثها ويريد
استشارتها في أي لون من القمصان ، يرتدي
تحت بذلته الرمادية وهذا الحضور حفل تخريج
طبيباً مثل والده أشرف.

قبل سعيد يد أمه وهو فرح ويطلب منها أن
تسرع كي يذهباً معاً لأن أحلام خطيبته في

انتظاره، رجع سعيد مرة أخرى وقبل جبين أمه.. تبسمت له منى ورددت:

- هيا يا دكتور سنتأخر على الحفل أنا جاهزة

فرد سعيد:

- وها أنا جاهز يا أمي يا ست الجايب.

ودخل عليهم أشرف وهو يردد:

- ما هذا الذي أراه؟.. الدكتور لم يجهز بعد.

تبسم سعيد وقال:

- لا لا حالاً سأجهز.. سأربط رباط عنقي فقط.

تبسم سعيد وقال:

- هنيئاً لك يا والدي بهذا القمر الذي يتم حياتنا نوراً.

تبسمت منى وقالت:

- اليوم هو يوم سعادتنا جميعاً مباركة عليك
يا بني.. كنت أتمنى أن تكون أمك مراك على قيد
الحياة حتى تري تفوقك وتسعد بخطيبتك.

رد أشرف مبتسماً لها قائلاً:

- هما الآن حاضرين معنا بروحيهما رحمة
الله عليهم جميعاً.. هيا يا بني سنأخر، هلمنا بنا
نذهب.

وذهب الجميع في سعادة إلى الحفل، وهنا يولد
من رحم الحزن الفرح، ومن الموت تولد الحياة،
وقد يولد من اليأس الأمل ومن الشدة ينبعث
الانفراج.

شجار

أخذ يبتعد ويجري و يلته دون أن ينظر
للوراء، وكاد الرعب أن يقتله إلى أن وجد
نفسه بعيداً عن محيط قريته وظن أنه هرب و
نجا، وهنا لاحظ ذاك السلاح الذي كان ممسكاً به
جيداً ملطخاً بالدماء.

التقط أنفاسه وكأن غيبوبة أوقعته في غياهب
ما فعله، بدأ يسترجع تلك السويقات القلائل
الماضية ماذا حدث؟ وماذا سيفعل؟ وهل مات
حمدان؟ وماذا سيحدث له بعد تلك المصيبة
التي قام بفعلها؟

وبدأ يعيش تلك اللحظة حينما تساجرا سوياً
أثناء تعاطيهما تلك المواد المخدرة التي أذهبت
عقليهما عن واقع كان قبلهما جميل ، حينما
كان في مرحلة الثانوية العامة هو وصديقه
أيمن يذاكران ويدرسان وإذا بهذا الماكر يدخل
حياتهما ويقلبها رأساً على عقب.

كان سليم شاباً خجولاً إنطوائياً، نادراً ما يخرج من بيته، و دوماً يتجنب الأحاديث مع الكل سوى صديقه وزميله أيمن، وذلك بسبب فقدّه أباه.. فقد توفى والده وهو بسن الثامنة من عمره، ولم تنجب أمه سواه، عندما مات والده كانت أمه صغيرة السن لأن من عادات القرية تزويج البنات مبكراً، لم تستطع أن تكرر حياتها من أجل ولدها، فكانت حكيم والدها حكماً صارماً حيث اتفق مع أول طالب لخطبتها، بعد مرور عدتها دون أن يهتم لرأيها.. بُعِث صوتها بالرفض لكن لا حياة للأصوات الضعفاء.

تزوجت من رجل شبيه أباه في التسلط والاستبداد وعاشت معه حياة بائسة يائسة أنجبت منه ثلاث أولاد وكان دوماً التمييز منه للأولاده دون مراعاة ذلك اليتيم المسكين الذي كان دائم الانعزال عنهم وعن إخوته، فكانت حياته مغلقة على كتبه ودراسه إلى أن وصل للمرحلة الثانوية.

وفي ليلة من ليالي الشتاء الطويل دخل

محمدان عليه هو وزميله أيمن حينما كانا
يذاكران بيت سليم بحجرة منعزلة ولها باب
خارجي عن البيت ومن المعروف أن محمدان
لا يهتم لدراسته ولا يكثر بأي جهد فيها،
فكان يستغفل والديه ويحصل على الأموال
بحجة الدروس وكان يشتري بها أغلى ماركات
السجائر ويفتخر بها أمام زملائه، وكان أمثال
سليم وأيمن معجبان بمحمدان لما له من قدرة
على فعل تلك الأشياء التي يظنان استحالة
فعلها منهما، دخل عليهما ومعه بعض أكياس
الحلوى ورقائق البطاطس، وكأنه يوهي إليهما
أنهما مازالا صغيرين بالنسبة له رغم أنهم
في ذات السن، أخرج لفافة السجائر من جيبه
وأشعل سيجارته واقترب من أيمن لينفس بعض
الأدخنة بوجهه ويبتسم ويردد:

- ما انزلتما أطفالا هذا ما تستحقونه.

وصاح ضاحكاً بصوت عالٍ لجذب انتباههما وهنا
استشاط أيمن غضباً وقال:

- ابتعد عنا وخذ ما جلبته معك واطر كنا
لحالنا ولا تضع وقتك مع هؤلاء الأطفال الصغار.

- اقرب همدان من أيمن قائلًا:
- هل ما سمعته صحيح؟ أنت تطردني من هذا
المكان الذي لا أمر لك فيه؟

وأمسك به من كتفه وجذبه إليه ولأن
أيمن كان يخيف الجسم رهب الموقف وخاف
من هذا الشرير لولا تدخل سليم قائلًا:
- مهلا على رسلكما أنتما الاثنان، إذا سمع
نروج أمي صوتكما العالي هذا ستكون ليلة
سوداء على رأسي، إذا كنتما تريدان الشجار
فاخرجا بعيداً عن هنا وافعلوا ما يحلو لكما.

أفرغ همدان كل قوته بدفع أيمن وسليم
وتركهما ورحل، وهو يبني في نفسه شيئاً مآكراً
لهما.

حذر سليم صديقه أيمن قائلًا:
- يجب أن نبتعد تماماً عن همدان.. إنه يكن لنا
الكره والبغض.. أسمعني يا أيمن؟

طأطأ أيمن رأسه وردد:

- نحن لم نذهب إليه هو الذي يأتي إلينا..
ماذا نفعل له؟ هو يعلم أننا لا نريده ومع ذلك
يتمادى في غطرسته وبروده.

بدا على وجه سليم الحيرة والقلق فهو لا يحب
المشاكل ولا يحب أن يجرّه أحد إليها فإن زوج أمه
مستبد لا يرحم، وكلماته كأنها خناجر ترشق
بلك جسده وهو يحاول جاهدًا أن يبتعد عن
مواجهته في أي شيء بل ويتلاشى حتى الحضور
معه على مائدة الطعام.

ومرت الأيام وأنهى الصديقات دراستهما
بمرحلة الثانوية ورسم همدان في هذه السنة
وزاد سخط والديه عليه، وزاد هو من حقه
على سليم وأيمن واتجه إلي طريق الفساد
والمخدرات، وكان دائمًا ما يهابه الناس خوفًا
من سوء أخلاقه وعدم احترامه للغير خاصة
وأن له رفقة سوء تزيد من سوء خلقه، فكان
يقف معهم على قارعة الطريق ينتظر سليم
وأيمن أثناء عودتهما سويًا من الجامعة ليحتك

برهما، وكان دوراً سليم يقتصر كل مناقشة بين
 همدان وأيمن رغم حدتها ويفض النزاع بينه
 وبين همدان إلى أن وصل الأمر بينهم كأنه نأر
 يريد كل واحد منهما النيل به.

وفي يوم جلس همدان مع شباب يشبهونه،
 هؤلاء الفاسدون الذين يتعاطون المخدرات
 بل ويتاجرون فيها وكانت القابلة بوكر
 مهجور يشعلون فيه نأراً ويجلسون بعيداً،
 يخططون فيه كيف يروجون لتجارتهم دون
 أن يشعر بهم أحد ولا يعلمون أن رائجتهم قد
 فاحت بالقرية والكل يعلم بما يفعلون، لكنه
 الخوف من بطشهم وعنفوانهم هو الذي جعل
 الناس ينفرون حتى من فضحهم، ويسلكون
 ذاك المسلك السلبي الضعيف معهم.

أضرب همدان مكتون قلبه من حقد وبغض
 لأيمن أمام هؤلاء وما كان منهم إلا أنهم اتفقوا
 معه أن يجرؤا قدميه لتعاطي المخدرات، ولكن
 كانت دهشة همدان كبيرة من تلك الفكرة التي
 لم تخطر له على بال وقال في دهشة ممزوجة

بالتعجب:

- وكيف سيقع وما هي الطريقة التي يتم بها ذلك؟

رد أحمد أقرانه:

- اترك هذا الأمر لي فأنا كفيل به.

وارتفعت أصواتهم بالضحكات العالية مع كمية كبيرة من الأدخنة المتصاعدة حولهم وافترق وكل منهم يدبر برأسه مكيدة ويضع خططه للإيقاع بهذا الشاب المسكين.

وفي صباح اليوم الموعد اتفق أحمد أصدقاء حمدان مع زميل لأيمن كي يستضيف أيمن عنده بحجة أنه يدعوه لتناول العشاء سويًا وبالفعل قبل أيمن دعوة زميله ولأن أيمن كان فقيرًا معدماً يعيش مع أبيه وإخوته حياة بؤس وشقاء، فكان في العطلة الصيفية يعمل أجيرًا مع والده في تلك المزارع، وأثناء الدراسة كان والده يتحمل أكثر من عمل كي يوفر له وإخوته

قوتهم اليومي، وكان أيمن يقضى معظم وقته مع سليم سواء كان بالدراسة أو بالبيت ويتبادل الملابس مع سليم الذي لا يمنع عنه أي شيء لأنه يعلم شدة فقره وكان يحبه جداً ويعطف عليه. كان أيمن يعمل هو ووالده عند زوج أم سليم وأيمن يعلم جيداً حدة طباعه مع سليم الذي كان يبغض هذا الرجل، لذلك ذهب أيمن لدعوة زميله متحينا فرصة لتناول مائدة وطاب أثناء استضافته ولا يعلم ما يحاك له، كانت بداية خطتهم الملعونة حيث وضعوا له بعض الحبوب المخدرة بكوب الشاي وحينما تركهم سليم كان يشعر بسعادة لا يعلم سببها حيث أنه كان يرى كل شيء جميلاً وأثناء رجوعه للبيت قابل بطريقة ممدان، فأوقفه وسلم عليه ممدان يريد أن يطويه تحت جناحيه وبالفعل بلع المسكين الطعام، وكانت تلك بداية طريق العودة، بدأ أيمن يعتاد كوب الشاي من يد زميله ولا يعلم ما بداخله، وفي يوم اشتد به ألم برأسه وأقعد طريح الفراش، ولم يذهب إلى جامعته واتصل هاتفيا عليه سليم يستفسر عن

سبب غيابه فرد أيمن:

- أنا مريض يا سليم.. نمة ألم برأسي لا يغادرني لا أعلم سبباً له.

رد عليه سليم قائلاً:

- لا بأس يا صديقي شفاك الله وعفاك سأمرك عليك لكي أطمئن عليك وأعطيك المحاضرات التي خلفت عن حضورها.

وكان لأيمن أخت تصغره بعامين وكان سليم منجذباً لها وهي تبادل له هذا الانجذاب بنظرات العينين وابتسامة يهيم لها قلب سليم وجداً حينما يراها، فقرر أن يذهب ليطمئن عليه، ويرى محبوبته التي يكتفي في عشقه لها بتلك النظرات الصامتة.

أغلق أيمن الهاتف وسمع أحدهم ينادي بالباب فقام ليري من فوجده حمدان فقال له مجبراً: أهلاً بك.. تفضل.

أدخله مجرته وأغلق الباب كي لا يري أخته

تمر بطرقات البيت، فقد كان أيمن يغار جدًا على
أخته خاصة من هذا الذي أتى إليه زائرًا على
غير موعد، ولا يعلم أيمن لماذا حضر إليه وما
سبب تلك الزيارة؟

فرد عليه همدان:

- ما بك يا أيمن أراك متعصبًا برأسك هل أنت مر
يض؟

فرد عليه أيمن :

- برأسي ألم شديد.

حاول همدان أن يكلمه بلين وحنانٍ إلي أن
يصل لبثغاه ثم قال له :

- عجبًا لحسن حفظك أن معي أقراصًا تزيل
الصداع سريعًا، وسينهي هذا الألم فورًا.

فرح سليم من شدة ما به من ألم وقال :
- إليّ به فأنا.. لم أعد أستطيع تحمل ذاك الألم
لحظة واحدة.

لكن الماكر أيقن أن هذه هي اللحظة الحاسمة
والمناسبة بأن يجعل أئمن يعتاد منه على تلك
الأقراص فقال له :

- يا أئمن هذه أقراص غالية الثمن، لا تستطيع
دفع ثمنها لكلي سأعطيها لك اقتراضاً على أن
تمنحني ثمنها حينما تكون معك نقود.

وبالفعل أعمى الألم أئمن ودون أن يفكر
فيما هو صواب أو خطأ أخذ منه الأقراص وفي
تلك اللحظة انتهر ذاك الشيطان على أئمن
وأوقعه فيما خطط له هو وصحبة السوء،
وابتسم ابتسامة مكر وخديعة حينما رأى أئمن
يبتلع تلك الأقراص، وبينما هما جالسين بعد
أن أصبحت حالة أئمن جيدة وبدأ مفعول المخدر
يُدخل النسوة إلى نفسه، وريصمت ذاك الألم
برأسه، حضر سليم ليشهد الجمع الكريم بين
حمدان وأئمن وهما متحابين وأصدقاء ويرى
أئمن في أحسن حالاته، فتعجب من الأمر وبدأ
الاندهاش عليه وتوجس خيفة مما رأى وبدأ
يساوره الشك في هذا الأمر وانصرف سريعاً،

وبينما هو خارج من البيت إذا بأخت أيمن تطرق الباب بهيئة الشاي فأخذها منها، وطلب منها ألا تخرج من غرفتها أثناء وجود همدان، هنا بينما هما يقفان معا يتحدثان خرج على حين غفلة همدان، فشهد أخت أيمن وجذبه جمالها ورشاقته، وشعر أن بينها وبين سليم شيئاً ما.

ومر يوم تلو الآخر وحالة أيمن تسوء، ويتعجب سليم لما حدث لصديقه ويحاول أن ينتسله من هذا الطريق المظلم، ولكن لا فائدة فقد وقع المحذور وانتهى الأمر وعلم سليم بحقيقة الأمر وبالمكيدة المدبرة لصديقه، ويحاول أن يساعده على تخطي هذه المرحلة المميتة التي وصل لها ويخبره بما عرفه ويعلمه بأن همدان هو وراء ذلك كله ولكن دون جدوى.

حاول سليم أن يتخذ كل الطرق كي يعيد صديقه لما كان عليه قبل أن ينجرف لهذا الطريق الذي وقع فيه بخطة محكمة من هؤلاء الدواهي الذين ينساقون في هذا الطريق الهالك والذين يحاولون فيه أن يهلكوا كل

من هولهم، أخذ صديقه مرة باللين وأخرى هدهدته بأنه سيخبر والده إن لم يعد عن هذا الطريق، وسيقطع صلاته به إن لم يرجع عن هذه الرفقة، لكن أيمن كان قد أصبح مدمنًا، وأصبح لا يرى الصواب من الخطأ، فقد أعماه الإدمان لكل شيء، بدأ أيمن يرسب في امتحاناته التي لم يذهب لأدائها.

حزن سليم على مستقبل صديقه الذي أوشك على الدمار والسقوط، وأراد أن يفعل شيئًا يخلص قريته من هؤلاء المحتالين الذين يبيعون ما يغيب عقول الشباب ويحطون آمال تلك البلدة في النهوض والبناء، وفي ليلة شديدة السواد ذهب سليم إلي أيمن ليسأل عنه فلم يجده، حاول أن يستفسر من أخيه إلي أين ذهب فردت قائلة:

- خرج مع ممدان على عجل ولا أعرف متى سيعود.

ترك سليم فاطمة أخت أيمن وصاحبة أول دقة

يرتفع بها فؤاده بعد أن أوصاها بأن تحرص كل الحرص على عدم الظهور أمام ممدان لأي سبب كان حينما يكون عندهم بالبيت.

ذهب سليم يتحسس في كل مكان أخبار أيمن.. يبحث هنا وهناك في جميع الأماكن المفترض أن يكون فيه وفي تلك الليلة الطويلة علم سليم أن هناك وكرًا يجتمعون فيه كل ليلة إلى أن يقترب الفجر، فذهب إليه خفية منهم وسمع ما يدور بينهم دون أن يعلموا بوجوده وسمع كل أحاديثهم وعلم بموعد استلام الشحنة المخدرات وقد أرغم ممدان أيمن على أن يستلمها هو نظير استدائه ذاك المبلغ الذي تراكم عليه نظير إدمانه للمخدرات، وكان موعد استلام تلك الشحنة من تاجر يأتي متخفيًا بسيارة سوداء نهاية كل شهر هجري، فتكون الليلة ليس بها قمرًا بانرغًا، فيسلك الظلام ستره عليهم وعلى أعمالهم المشينة، وقد بقي على الدة سبعة أيام كاملة من تاريخ اجتماعهم. علم سليم بكل خططهم وأراد في نفسه أن يخلص

زميله وصديق عمره من هذا المأزق الذي وقع فيه بسبب تلك الخطة التي أحكموها عليه، انتظر سليم إلى أن أشرق الصبح وذهب إلى أيمن كي يرتب معه خطة يتخلص فيها من هذا اللابوس الذي يعيش فيه.

طرق الباب ففتحت له الباب فاطمة، ورأى وجهها الجميل المشرق فابتسم لها وقال:

- صباح الخير.

فأومأت برأسها مع ابتسامة مشرقة مرعدة:

- صباح النور عليك.

- هل استيقظ أيمن؟

أجابته بأنه بمجرته، فدخل سليم إلى حجرة أيمن فوجده متكئاً على وسادته شاردًا مزينا بسبب هذه المهيبة التي حلت عليه والتي لم تكن في حسبانها، يقتله الندم لوصوله لما فيه الآن.. كيف ترك نفسه تنساق إلى هذا المصير المخزي؟ انتبه أيمن لدخول سليم عليه فحاول أن

يومي له بأنه بخير ولا يعلم أن سليم قد كُشف مخططهم، أراد سليم فتح باب الحديث في أي شيء كي يخرجهم من حالة الشرود هذه ثم سأله مندهشاً:

- أئمن هل بالفعل ستساق إلى هذه العصابة؟ وتنسي ما حلمنا به بعد نهاية دراستنا؟.. هل بالفعل تريد لأبيك أن يعلم أن ابنه الذي تحمّل مرارة الأيام والليالي السوداء للأجله قد أصبح مدمنًا؟.. أبوك الذي يحاول أن يوفر لك المال كي تكون لك حياة في يوم ما أفضل من حياته التي يعيشها ويتحمل كل مرارها للأجلكم؟.. لماذا تفعل بنفسك كل هذا؟.. هل تريد لأختك التي كتب الله عليها فقد الأم أن تفقد أخاها الذي تعتبره السند ويصبح تاجرًا للمخدرات؟

هنا اعتدل أئمن في جلسته وردد:

- ما هذا الهراء الذي تتحدث عنه؟.. هل حكمت علي أنني سأصبح مثل ما تقول لو أن

كل متعاطٍ أصبح تاجرًا إذا لم تن سير وجون؟.. أنت
واهم يا صديقي.

وأشاح بوجهه بعيدًا لأنه يعلم أن سليم إذا
نظر إليه سيعرف أنه كاذب بحديثه وهنا قال له
سليم:

- أنا سمعت ما دار بينكم الليلة، وإن قمت بما
طلبه منك حمدان سأكون أنا أول من يقف
أمامك ليمنعك من الشر الذي تقعم نفسك فيه.
وهنا تهاوي أيمن أرضًا واضعًا يده علي رأسه
ويقول:

- أنت لا تعرف حمدان ماذا سيفعل بي إن لم أقم
بهذه المهمة؟.. لقد هدوني بفاطمة إن لم أفعل
ما يطلبه مني سيقومون بخطفها هو وعائلة
رفاقه.. أنا حياتي انتهت يا سليم وأخاف على
حياة أختي.. أخاف أن أكون سببًا لدمارها بسبب
ما فعلوه بي.

وهنا أدرك سليم أن أيمن في ورطة كبيرة

والأمر الآن لا يمسه وحده بل يمس قلبه معه..
إنها فاطمة كيف يجبرؤ هذا المعنوه حمدان أن
يفكر مجرد تفكير في أن يمس شعرة منها؟

أجاب سليم معقباً على كلام أيمن :

- أنا من سيقف ضده.. لن يستطيع أحد أن يقترب
من فاطمة وإن اضطرني لأن أقتلع روحه من
جسده.. لن يستطيع أحد أن يقترب منها ما دمت
حياً وقلبي نبض حياً.

اندهش أيمن من بوم سليم له وقال :
- ماذا تقول يا سليم؟.. أنت تحب فاطمة ؟

أجاب سليم:

- نعم أحبها ولم ينطق لساني باعتراف لها
احتراماً لك يا صديقي وكنت منتظراً إلى أن أخرج
وأقدم لها رسمياً، ولكن الآن لم الانتظار؟..
الليلة سأقدم لخطبتها رسمياً من أبيك ولكن
يجب عليك الآن أن تكون في قبضة يدي كي
أخلصك نهائياً من هذه الورطة التي أقعمت

نفسك بها.

هنا ضعف أيمَن واستسلم لنداء صديقه الذي
يعلم صدق محبته له وقال له :

- أنا بين يديك ولكنني أخاف من بطش
حمدان وأعدائه.

وهنا قال سليم:

- لا تخف نحن على الحق وأنت وقعت فريسة لخطئة
دنيئة منهم ويجب أن نتعامل معهم بحب ودهاء،
ولكن يجب عليك أن تسمع كلامي وتجاهد معي
إلى أن نقتلع هذا السم من جسدك.. ماهي إلا
أيام تتحمل فيها خروج هذا المخدر من جسمك
وبعدها لن يستطع أحد هزيمتك، لكن يجب أن
تكون لديك العزيمة والقدرة على ذلك..
عدني يا أيمَن أن تزيل هذا البلاء من جسدك.

وبنبرة ملؤها حزن وخوف وترقب أجاب أيمَن
صديق عمره:

- نعم أعدك.

طمئنه سليم وقال له :

- الله معنا وأنا بإذن الله معك.. أمريني بعض الوقت كي أرتب خطبة برأسي للقضاء عليهم جميعاً دون المساس بك.

وفى المساء دخل سليم حجرة أمه بينما الجميع منشغل وانتبه فرصة أن يكونا بمفرديهما قبل يدها حينما شاهدها تبسم له عندما دخل عليها وأخذها يتجاذبان أطراف الحديث ثم أخبرها بأنه يريد أن يتقدم لخطبة فاطمة أخت صديقه أيمن الليلة.

بدأت السعادة على وجه أمه حينما علمت بأنه يحبها منذ فترة وأنه كان ينتظر إلى أن ينهي دراسته لكنه جد في الأمور ما يحتم عليه طلبها الآن، وطلب منها أن تخبر زوجها ليحضر معهم.

سرت أمه لذلك لأنها كانت تحب فاطمة لأدبها واعتزازها بنفسها وحسن أخلاقها وقالت له أمه :

- سأخبر عمك حينما يعود لا تقلق.
وبالفعل تمت الخطبة وكان زوج أمه سعيداً
لأن سليم لن يكلفه شيئاً في هذا الأمر
وحينما علم حمدان بتمام هذه الخطبة التي
صعد عند سماع أخبارها وكانت ثعباناً لدغه
وأيقظه من مرقدته وحدث نفسه قائلاً:

- لن أتركك ترها بها يا سليم.

وأخذ يرتب بدهاء خطة للنيل منهما بكل مقدر
وكرهية وغيره قاتلة.

ومرت الأيام وسليم يحاول جاهداً مع صديقه
حتى انتسله من بيئة حمدان وأعوانه وانتظم
بجامعته من جديد، وكلما رآهم حمدان استشاط
غضباً وبغضاً.

وفي صباح يوم ما كانت فاطمة ذاهبة إلي
جامعتها بالسنة الأولى لها وكان هذا اليوم
يتطلب منها أن تذهب مبكراً والطريق شبه خال
من المارة وبينما هي تسير إذ خرج عليها ثلاثة
شباب بسيارة واختطفوها منتهزين فرصة خلو

الطريق من الناس.

مرت الساعات وهاتف أيمن أخته ولكن كان هاتفها مغلق مما أثار الشك في قلبه فذهب إلى سليم كي يخبره، فانتفض سليم من نومه وأخذ يهاتف فاطمة ولكن دون جدوى، كاد سليم وأيمن أن يُجنا مما حدث وارتابوا أن يكون وقع ما كانا يخافان منه

قال أيمن لسليم:

- يجب أن نتكلم الأمر ونبحث بصرية كي نعرف ما حدث.

ورسما خطة كي يعرفا إذا كان همدان له دخل باختفاء فاطمة، وبالفعل توصلوا بأن سيدة رأت الشبان الثلاثة يختطفون فتاة لكنهم هددوها بالسلاح أن تكتم ما رأت لكنها لم تستطع خوفاً على تلك الفتاة المسكينة.

دخل سليم وأمضى سكيناً خبئه بمكان ما بجسده وطلب من أيمن أن يهاتف همدان تلفونيا ويعلم

منه ماذا يريد ويستدرجه ويقوم بتهديده
وكان رد همدان عليه بنبرة ساخرة قائلاً:

- أهلاً بأخي العروسة .. كنت سأتصل بك حالاً
كبي تشهد عقد زواجنا أنا وفاطمة. انزال
أيمن عليه بالسائم والتهديد إلى أن قال له
حمدان مهدداً أيضاً:

- إياك أن تخبر أحداً واحضراً حالاً ومعلك فستان
زفاف لأختك لأنني لم أتمكن من شراءه.

ولأن همدان يعلم أن أسرة أيمن لا حول لها
ولا قوة استخفت بهم وفعل ما فعل وقبل أن
يفلق الهاتف في وجه أيمن قال له:

- يجب أن تكون مستعداً للحضور إلينا
بمفردك حينما أتصل بك.

تهاوي أيمن من هول ما سمع وأخذ يبكي
على الحالة التي أوصل أخته إليها مع هذا الماكر
المخادع وهي لا ذنب لها صرغ سليم في وجه
أيمن وقال له :

- هل ستجلس تبكي كالنساء؟.. قف الآن وحاول أن تتذكر مكاناً آخر غير الذي كان يعتاد عليه.. غير الذي تعرفه.. اعصر عقلك وحاول أن تتذكر، ومررت الدقائق متناقلة عليهما لا يعرفان ماذا يفعلان إلى أن تذكر أيمن بالفعل أن هناك بيت في جهة البحيرة مهجور هو ملكه للأبو همدان، حينها أسرعاً إليه يتفقدان من بعيد ما فيه، حتى وجدا أمامهما سيارة همدان وجوارها سيارة أخرى.

انتظر سليم وأيمن الفرصة للهجوم على هذا المكان وإنقاذ فاطمة ولكن انتظارهما طال إلي أن بدأ الفجر بالبروز، وحينها خرجت سيارة من اللتتين ويبدو أنها ليست سيارة همدان، حينها تقدم أيمن يتفقد الأمر لنحافة جسده وعلم باستطلاعهم أن همدان لحاله مع فاطمة وهي أمامه مقيدة تبكي خوفاً ترتجف ولا تعلم إلى متى ستظل حبيسة هذا المعتوه، حينها أشار أيمن لسليم بالدخول، وانقض على همدان كما الأسد الذي ينقض على الفريسة وأخذ

يلكمه عدة ضربات دون وعي منه إلا أن خرَّ
صريعاً وكان أيمن يحاول فك قيد أخته، وارتمى
ممدان يفرق في بحور دماءه وبجواره صناديق
المخدرات التي كانت ينوي توزيعها.

انتابت فاطمة حالة من الذعر إلى أن طمأنها
سليم بأعضانه وطلب من أيمن أن يأخذها
ويذهب من هنا سريعاً، ولكن أيمن رفض أن
يتركه بمفرده لكن سليم صرخ بوجهه عالياً
وأمره بالانصراف وأخذ فاطمة المكان آمن.
وبالفعل ذهب أيمن وفاطمة بعد أن تعهد سليم
لفاطمة بأنه سيرجع لها سليماً معافاً، ذهب أيمن
واخته وانتظرا سليم إلى أن تأكد من وصولهما
لبر الأمان.. حينها أحس بضوء سيارة تأتي من
بعيد فترك المكان مسرعاً ويديه تلك السكين
التي تنساب منها دماء ممدان.

وها هو ضوء الفجر يتسلل بخيوطه لتشرق حياة
جديدة على تلك القرية النائمة المطمئنة بعد
التخلص من هذه العصابة الظالمة.

رؤى أم أحلام؟

نظرت إليه متعجبة مندهشة وهو يسرد لها ما فعله من أخطاء نادماً عليها، يبعث عن قلب يأوي إليه.. عن دفء حضن فقدته رغم تعدد الأمهات التي لم تكفه.. اعترف وندم وأقر أنه كان مخطئاً، والآت يبعث عن حنان.. عن حضن يبعده عن الخطيئة خوفاً من أن تجذبه الخطايا إليها مرة أخرى.. يريد حناناً حقيقياً منزوع من الهوى يهرب معه.. بدلاً من أن يخر صريعاً في بئر الخطيئة، تلفت يميناً وشمالاً عليها تجد له خلاصاً.. تريد أن تمد له يد العون، لكنه يقف بعيداً وكلما اقتربت زادت بينهما الفجوة اتساعاً.. بينهما سور عالٍ وأسفله محيط أمواجه مميم تلتهب كالبركان.

مد يده إليها يطلب منها أن تنتشله مما هو فيه وأشار ناحية قلبه العذب وبكى وقال:

- إلى متى؟.. إلى متى الانتظار؟

هَبَّ واقفاً كي يقطعهم الأسوار فتهاوى صريعاً،
ودق صوت النبه بأن الصباح قد أسفر، حينها
أيقنت أنه كان حلمًا ولكن من فيه تكاد تعرفه
أو رآته مرة من قبل بمكان ما!!.

قامت من مخدعها تلتفت إلى ذاك النور المنبعث
من نافذة غرفتها، ففتحت نافذتها على
مهراجيحها تتفقد خارجها وتتعجب أين ذهبت
الأسوار؟.. أين اختفت أمواج اللهب

وتساءلت في نفسها بتعجب..

أين هو؟.. ومن هو؟..

ولماذا أتاني أنا ليعترف لي بخطاياها بالنام؟

وقعت عيناها على منير جوارها منذ سنوات
عديدة رغم اختلاف عقيدتهما إلا أنه دومًا
يقدرها ويكن لها مزيدًا من الاحترام والتقدير
رغم أن هناك أحاديث نطقت بها أعينهما إلا
أنه يستحيل أن ينطق بها لسانيهما، فقد كان
نميلها بالعمل أيضًا وكثيرًا ما كانا يسيران

سويًا للعمل.. كان صديقًا وزميلًا وأخًا وجارًا
منذ الصغر تربطهما حقوق الجيرة وأشياء أخرى
لا يجوز التصريح بها في مجتمع كمجتمعهما.

اليوم وفي هذه اللحظة طلب منها منير أن
يستشيرها في أمر هام، وما أن فرغا من
أعمالهما حتى أراد أن ينتهز الفرصة ويتكلم
معهما.. يحكي لها عن أزماته ومتاعبه وفي أثناء
الحديث لمح منير إليها بطريقة غير مباشرة أنها
أصبحت تشغل كل تفكيره ويعلم مدي الأسوار
العالية التي تقف حائلًا بينهما.

تطرقت بخيالها وفكرها لما رآته ليلة البارحة
من رؤى في منامها وأيقنت أنه هو الذي كان
فيه.. سردت بفكرها عنه وعن مديته إلى أن
انتبهت وهو يقول لها:

- لقد أصبحت تشغلين ميزًا كبيرًا من حياتي
ولا أستطيع أن أتخيل الحياة بدونك.

أخبرت فاطمة مديك منير وطلبت منه أن
يكفّ عن الخوض في هذا الموضوع الذي لا حل

فيه، وشبهت موقفهما مثل اللذين يقفان على فوهة بركان.. إن تحركا من مكانهما سيطيح بكل من حولهما وأولها حياتهما. رد عليها قائلاً:

- أحياناً نكون مجبرين على ما خلقنا له ولا يكون بوسعنا تغييره، ولكن قلوبنا تنبض وتحيا بما نشعر به.
حينها قالت له :

- إذا فليكن الفراق.. لن نجتمعنا طريق آخر بعد هذه اللحظة.

تركته وقامت بسرعة وقد أيقنت أن ما فعلته هو عين الصواب، ومرت الأيام سريعاً، وكلا منهما في حاله.. حتى السير معاً للعمل صار محرماً كالخمر أو أشد حرمة.. فطريقهما صار وعراً وإن خاضا فيه خطوة واحدة، فسيفتحان على نفسيهما حرب شرسة من مجتمع عقيم ولدت فيه الحرية بدون أطراف تسير عليها حتى الأطراف الصناعية لا يسمح لهما بتركيبها.

أهل الكهف

أغضت عينيها.. تود لو أنها تسلم نفسها للموتة
الصغرى كي ترتاح من هذا الألم الذي ينهش
بنهم رأسها، وكأنها قنابل مدوية تنفجر واحدة
تلو الأخرى برأسها، ألم يجعل من رأسها ثكنات
لحرب هائلة بين ذكريات ماضيها ومستقبل
كانت تود أن تلتئم جراح حاضرها، تحاول أن
تهرب برأسها وتدفنها بين الوسادة كي لا
تستجيب روحها لهذا النداء.. نداء أحاديته معها
ما بين سمات ونسمات وكلمات تحنو على قلبها
وأمال كانت تريد منذ زمن أن يحققها لهما،
وطيفه الذي يحاصرها كلما أغضت عينيها..
وتلتفت يمينا وشمالا تسمع صوته وكأنه أمامها
تحكم الوسادة على أذنيها كي لا تسمع وتغض
عينيها كي لا تراه وهو مستعمر كل مكان
بقلبها وحاضرها حتى ماضيها ومستقبلها لا تعلم
أين تهرب منه؟.. حتى خيالها لا أحد فيه غيره.

جلست متحديّة ذاك الألم برأسها ما بين صرخة
صامتة ودموع تنهمر من مقلتيها ويقطع
وحدها ذاك المشهد حينما كانا سوياً في ذلك
الكهف في عالمهما الخاص منزويات بعيداً عن
هذا العالم، يجلسان بالقرب من بعضهما البعض
ينظران لذلك القمر البعيد الذي يضيئ الكهف
القابع بين أمضات الجبل الصخرية وكأنها دنيا
خلت من جميع البشر إلاهما.

محدثها بمزامير شعره وقصائده وكأنه كروان
يشدو بجوار القمر وتنهت له وتقول بهيام:

- الله.

قال لها:

- أنتِ عالمي.. فمعلّك أشعر بأنني في دنيا تخلو
من القسوة.. أهرب معك هنا في ذلك الكهف
وأرجو أن تتدهرج تلك الصخرة لتغلقه علينا
ونفوق لنجد عالماً جديداً خالياً من الحاسدين
والمخادعين والمنافقين. ردت عليه ودموع
تنحدر من عينيها في حزن قاتلة:

- وكهف تنزوي فيه آمالنا وأحلامنا التي لا نستطيع الجهر بها في هذا العالم العفن الذي كل ما فيه قسوة وهجر وحرمان، والاهتمام الزائد منا للأحبابنا أصبح في قاموسهم جرماً تحاسبنا عليه قوانينهم.. والطيبة والحب الصادق والوفاء أصبح نوعاً من السذاجة يجب أن تُدفن حية كما كانت تُؤاد البنات في الجاهلية، ليتنا نستطيع أن نغلق هذا الكهف علينا أعواماً وأعوام لكي نفيق وقد تغيرت عملة العواطف بقلوب البشر فتصير عملة نادرة الوجود عملة لا أنانية فيها.. عملة مملئة حب وحنان واحتواء وإحسان.

وقفت في تلك الغرفة التي بقيت فيها سجيناً مشاعرها الهامة وبين تلك الحرب التي أجمع طرفيها على الفتك برأسها.. تتساءل ماذا جنيت كي يكون نصيبي من كل أحبائي هو الهجران.. أليكون هذا العقاب المكتوب على كل قلب أحب بهدق؟، وهنا ينطلق صاروخ يفتت أرجاء ذكرياتها.. يجعل جميع الشاهد له برأسها تخط كما تخط الصقور

على الفريسة، تتهاوى لتجعلها تخر صريعة
على الأرض لا تمالك نفسها.. فلقد أفقدها الألم
الحضور بعالمها.. تستغيث ولكن لا جدوى من
صرخاتها لا الألم يرحم أناتها ولا الذكرى تريد
أن ترحل عنها ولا ذاك الكهف يريد أن ينغلق
عليهما فينسيها الألم وينساهم هذا العالم الحفير.
صمت العالم حينما صمت هو بالسؤال عنها
حينما تركها بهذا الكهف وعدها وأحكم الصخرة
عليه.. تركها دون وداع ودون أن يفصح عن
سبب هجرانه لها وكأنه عقاب على حبها له.
نظرت من تلك الفجوة الصغيرة بين الصخرة
وجدار ذلك الكهف؛ فوجدته يستمتع بألمها..
يقف متفرجاً والابتسامة تعلو شفثيه والدموع
تساقط من عينيه.. شعور ممزوج صاحت فيه
مسائلة:

- إلى أين أنت ذاهب؟ ألم يكن هذا هو مكان
تلاقينا؟.. ألم يكن هذا كهف غرامنا؟.. إلى أين
ولن هنا تركني وحدي؟
قال لها مبيبا:

- سأجئ عن عملة جديدة لقلوبنا لأن
عملتنا باتت قديمة لا تتداول ولا يستخدمها
هذا العالم الحقير.

وهنا حطت بنوم عميق وكأنت النوم بات أمن
عليها من كل من يقولون أنهم أمبوها.

زائر لا يطرق باباً

الموت زائر لا يطرق باباً ولا يستأذن.. يترهب
بالأرواح ملك الصقر الذي يُهلك الفريسة
فيوقع بها.. وينقض عليها دون رحمة تاركاً
ورائه أحزاناً كبيرة.. تتضائل يوماً بعد يوم..
لينا نتغذى من هذا الزائر ونعد له لنكون
على أهبة الاستعداد له.. ضيف غير مرغوب
به لكن زيارته حتمية لا مجال للشك فيها
ولكننا لا نعرف له موعداً.. أحياناً يأتي
المكان مرة كل أعوام كثيرة، وأخرى يعتاد
الجميع كل فترة قصيرة إلى ذات المكان؛ هذه
حكمة الله لعلنا سندركها في وقت لاحق.
كان عنده من الأولاد ستة يحبهم ويرعاهم
ويصل رحمته، فلهذه أختان؛ واحدة تكبره
والأخرى أصغر منه.. والاثنتان متزوجتان
بالقرب منه، هذا اليوم آخر يوم بـرمضان
في الثمانينات من القرن الماضي حيث الألفة
والصحة، رائحة الكعك الزكية تملأ البيوت

وفرحة الكبار تسبق الصغار فرحين باستقبال عيد الفطر حيث الاستقبال حينها غير هذه الأيام التي لا طعم لها.. اللك مشغول بحاله أما في هذه الفترة كان العيد صحبة وتجميع للأحباب. كان يعاني من نوبات صرع تهيبه بين الآونة والأخرى تجعل جميع أعضائه تتشنج، وسريعاً ما تمر بسلام.. في صبيحة هذا اليوم ذهب إلى بيت أخته الكبرى التي يقطن بجوارها بشارعين حيث ذهب ليدعوها هي وزوجها وابنها الذي يحمل ضيفاً هو وأسرته في عطلة العيدين لتوديع آخر يوم برمضان عنده، إن لم تثبت رؤية شهر شوال، وأصر على ذلك وقال:

- إن ثبتت وأصبح غداً عيد الفطر فيكون العيد لنا جميعاً نقضيه سوياً.

لم تستطع أخته الكبرى أن ترفض له طلباً بل كانت سعيدة لأنه أخوها ومماثلة والدها وكل أهلها. تركها مودعاً والبسمة تملأ وجهه الحنون وكأنه الوداع الأخير.. ذهب أيضاً إلى أخته الصغرى التي تبعد عن أختها بمسافة ليست بالقليلة

وكرر عليها ما قاله للأخت الكبرى وأيضاً تركها مودعاً، وفي طريقه ذهب إلى الخياط يتعجله بالانتهاء من حياكة ملابس وملابس أولاده التي سيرتدونها بيوم العيد وأخرج من جيبه أجرة الحياكة وناولها إياه رغم عدم الانتهاء منها. ومر على السوق ليشتري كل شيء من خضار وفاكهة وحلوي استعداداً ليوم العيد أو آخر إنظار برمضان وفي طريقه تذكر امرأة عجوز كانت من أصدقاء والده كانت يعطف عليها سراً، وبراً لوالده اشترى لها كل حاجاتها مثل ما اشترى لبيته أهل عليها والابتسامة تعلو جبينه وهي تقدر ما يفعله من أجلها وكل مرة تدعو له بتسهيل أحواله وأن يجعل في كل خطواته تيسير ورضا من الله، ودعها هي الأخرى بعد أن ملك وقتاً ليس بالقليل معها يتحدثان عن ذكريات والديه معها، تركها ومرحله وهو يلقي نظرات حنونه عليها وهي تودعه بوافر دعواتها ورغم ذلك قال لها:

- ادع لي يا خالة.

قالت مبتسمة مودعة:

- الله ييسر لك أمورك يا بني.

مشى ببطء بطريقة ينظر إلى الأشجار التي
تزين الشوارع ونسائم الجو العليل فكانت
الوقت في حينه أوائل فصل الربيع، دخل
بيته نظر لزوجته وأولاده متعجباً لأنه
يطيل النظر لهم ولا يمل وهو صامت.
انطلق صوت مدفع الإفطار مدوياً وفرح الأطفال
وذهبوا يهرعون للمساجد كي يسمعون
الأذان وبناء عليه يهرغون بصوت عالٍ وهم
فرحين:

- أذن يا صائم.

جلس على مائدة الإفطار وأولاده وزوجته
وابنة عمه التي تعيش معه بعدما فاتها قطار
الزواج ومات والدها، فتولى رعايتها في بيته
معززة مكرمة وبعد صلاة العشاء سمع أن غداً
التمم لرمضان فكانت راضياً وسعيداً وهانئاً
البال لأن غداً يوم آخر برمضان وكأنه ضيف

عزيز لا يريد له الوداع.. أبلغ زوجته بدعوته
للأختيه غداً فرحبت وقائلة له:

- هذه عادتك كل عام نسأل الله ألا يقطع
لك عادة حميدة أبداً وأطاك الله لنا بعمرِكَ يا
زوجي الحبيب.

وبعد أن انتهى من صلاة التراويح رجع بيته
لينام بحجرة وحده.. عادة يأخذها كل رمضان
وفي هذه الليلة نام ابنه الأصغر معه الذي
يبلغ من العمر سبع سنوات؛ وكان من عادته
ألا يفلق الباب من الداخل، فتقوم زوجته
بالمرور عليه لتوقظه للسحور وصلاة الفجر
ولكنه الليلة أحكم مقبض باب الحجرة دون
أن يدري واستقبل القبلة في نومه وكأنه
في انتظار ذاك الضيف الذي كان متربهاً
له فانقض عليه في صورة تلك التسنجات
السريعة التي لم يتمكن أحد من إنقاذه منها
لأن الباب كان محكم الإغلاق وزادت النوبة
عليه وانقض الصقر يلتهمه بلا رحمة ففاضت
روحه إلي بارئها يسبقه عمله وصلة رحمه.

ودخلت في موعد هان وزوجته لتفتح الباب فإذا به
مغلق من الداخل، فانتابها القلق فطرقته طرقة
خفيفة في بادئ الأمر، توجس قلبها خوفاً وقلقاً
بالعين، فأسرعت تطرق بصوت عالٍ وتنادي
عليه ولكن لا مجيب.. فانتفض ابنها مذعوراً
من جواره ليجده مسجياً ووجهه مغفر بالأرض؛
مغشي عليه.. فقام الولد خائفاً يترهب من الباب
ليفتحه وارتمى بين أمضات أمه وهو في هلع
وخوف على أبيه، فأسرعت أمه إلى أبيه،
صرخت صرخة مدوية لتعلن فيها مراسم دعوته
للأحباب بالحضور المبكر لتبدأ مراسم دفنته وتقف
الآن أعماله الصالحة وصلة رحمه ومرضه
ليشفعوا له عند بارئه لتقول له الملائكة
مرحبة مهللة تردد آيات من سورة الفجر:

- يا أيها النفس الطمئنة.. ارجعي إلى ربك
راضية مرضية.. فادخلي في عبادي.. وادخلي
جنتي..

حين مودع

وقفت والد مودع بعينها تتأقّل للخروج وأدارت
بوجهها عنه كي لا يلاحظ ضعفها وخوفها ومرارة
ارتسمت على وجهها، وهي موقنة بأنه لا أمل
في لقاء جمعهما من جديد وقد أيقنت أنه منذ
لحظة فراقه ستفترسها الذكريات ويجلدها صوت
الأنين وتنضب الكلمات وتنحرف الحروف وتختصر
في غيابه الشاعر والأحاسيس.. أجمعت قواها
وتجلدت بالصبر وتذكرت كل ما مضى بينهما من
لحظات كانت بينهما تساوي عمراً.. ما بين حب
انزوى بعيداً بلطف لا يراه غير أعين قلوبهما..
أعطاهما الحنان مصبوحاً بلكؤوس الأمل بأن القادم
كله مفروش بالرياحين، رغم استحالة أن
يجمعهما القدر بنصيب إلا أنها أحبتّه حباً شديداً،
وجدت فيه الوطن حيث تفترسها غربة الأحباب،
كان لها الأب والأخ والصديق والرفيق.
كان أستاذاً لها بالجامعة رغم تقارب سنهما

وذلك للأسباب عائلية منعته من إكمال دراستها بعد حصولها على الليسانس، وكانت لها آمالاً تريد أن تحققها وحلم يراودها كي تحصل على الدكتوراه، ولأنها تزوجت وانشغلت بدوام الحياة وتربية الأبناء وزوج عادي كأبي زوج.. وزواج تقليدي كأبي زواج وبعد أن كبر أولادها أرادت أن تكمل مسيرة تعليمها.. تعاطف معها زوجها وسمح لها بإكمال دراستها رغم قسوته، وعدم مساعدته لها وتحملها أعباء البيت كاملة على عاتقها، كانت تلك ليل نهار لتصل لبنتها وبالفعل حصلت على الدراسات العليا وتابعت لناقشة الدكتوراه.. قابلها الدكتور زياد الذي سهر لها كل الصعوبات وذلّلها لها.

كان يدفعها للأمام بقوة كلماته ويعينها على تقبل التحديات وتيسير كل صعب.. نشأت بينهما علاقة قوية لمدة أربع سنوات وأكثر؛ لأنه كان يشرف على رسالتها ومع الأيام اعتادت عليه... أصبح جزءاً أساسياً بحياتها.. كان يواسيها في منامي حياتها ومن جانبه

كانت هي أيضًا قطعة السكر التي تملأ بها حياتها
ومرارتها.. كانا يتجاذبان الحديث يوميًا.

فأصبح زياد الطبيب المداوي لجميع جراحها
وأصبح الصديق الوفي، وأصبحت هي الزهرة
الجميلة التي يستنشق عبقرها في حديقة امتلأت
بالأشواك.

ومرت الأيام وأنت يوم مناقشة رسالتها وقبل
بدء المناقشة بأيام كلف الدكتور زياد أستاذًا
آخر بتكليف رسمي بدلًا منه لمناقشة رسالتها،
وكان الخبر كالمصاعقة التي وقعت عليها حاولت
أن تهمل عليه وتتواصل معه لكن دون
جدوى ولم تعرف السبب.

وفي هذه اللحظة وتحديدًا يوم مناقشة رسالتها
بينما هي تسير أمام مكتبه وإذا هو جالس
قابع بركن منزو كي لا يراه أحد إلا أنها رأتها،
فدخلت عليه حجرة المكتب لتستفسر منه لماذا
تركها في أدق لحظات احتياجها إليه؟.. حينما
راها تعتمد ألا تلتقي أعينهما ترى فيه التجمع

محدثي عينيهِ والذي إن رأتَهُ ستنهمرُ سلالَات
من دموع، لم ينطق بكلمة واحدة ولم يفصح عن
سبب تركه لها وعدم رده على مكالماتها سوى
عذر واهٍ ألا وهو أنه يمر بمشاكل عائلية تمنعه
من الاستمرار معها.. انه هشت من تصرفه هذا،
فهني طوال هذا الأعوام لم تلزمه بشيء حتى
مجرد الكلمات التي كانت تسمعها منه كانت تدرك
أنها ليست من حقّه ولا حقها ولكن هي ليست لها
إرادة بمساعرة اقتحمت فؤادها وتعلم استحالة
أن يجمعهما القدر.. لا تطلب منه شيئاً كما لا
تريد أن يطلب منها شيئاً ولكن ليكن ما بينهما
شعوراً جميلاً يساعدهما على الاستمرار دون
تجاوز ودون خروج عن النهج المألوف.. يكفيها
أن تشعر أنه يكن لها حباً أصماً وهي كذلك تحبه
حباً يعيش بفؤادها ولا ينمو ولا يزدهر.. حب
«مملوك سر».. حب منزو بركن بعيد عن عالمهم
الواقعي يأخذها لعالمها الخيالي عند سماع
أغنية معينة أو رؤية مشهد خلاب أو دراسة
جزء من كتاب ما، كل هذا ولا شيء غيره.

خزجت من حجرة مكتبه وقد اسودّت الدنيا بعينها وتحجرت دموع تأبى أن تفصح أمرها للحاضرين، صمدت بينهم وهي تنتظر وتأمل أن يهلك عليها لتستمد منه قوتها وعينها على الباب.. أتى الجميع دونه وبدأت المناقشة وكلما أغمضت عينها لتجمع من قواها الخائرة تسمع صوته وتراه بين الحاضرين إلى أن وصلت إلى نهاية المطاف.

وأنت مناقستها ، وجلست تنتظر ووضعت يدها على عينها تريد أن تتخيله أمامها، ودون أن تدري سمعت صوته يعلو.. وجدته بين المصطفين الجالسين محاورونها.. وفي النهاية أمسك مكبر الصوت وصمت الجميع ليعلن حصولها على قلبه بلا منازع مع مرتبة الشرف وبامتياز سامق مع مرتبة الطهر والعفاف.

تمت بحمد الله

الفهرس

5.....	مقدمة
9.....	نبضات قلب
19	راحل دون وداع
29	أواه يا قلب
35	فراق مسطور
41.....	على أطلال الحين
55.....	نافذة الذكريات
65.....	صمت موجع
71.....	الهاربة
85	وميض
93.....	وماذا بعد الفراق؟
109.....	سجائر

وماذا بعد الفراق؟

رؤي أم أحلام؟..... 135

أهل الكهف..... 139

زائر لا يطرق باباً..... 145

حنين مومع..... 151

لو عاوز تحقق حلمك وتنتشر إبداعك وكل الناس
تقراه سواء شعر .. قصة .. رواية .. كتاب
اتواصل معانا وساعدنا نحقق معاك حلمك وحلمنا
إن كل مبدع يوصل للناس إبداعه..

يوريكا
حلّق خارج السرب

01288627690

eureka4publishing@gmail.com